المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــاض - حـــي سلطـانة

تفريغ شرح كتاب

# القاعدة المراكشية

شيخ الإسلام ابن تيمية - المتوفى سنة ٧٢٨ هـ - رحمه الله

للشيخ:

د. عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد..

فهذه رسالة من الرسائل في الاعتقاد، صنفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه- وهي من اسمها تعرف بالمُرّاكشية، فهي لبلد في المغرب يسمى مُرّاكش.

وقد ملأ هذا الإمام -رحمه الله تعالى- الدنيا علماً فاشتهرت رسالته أو كتابه التدمرية، وكذلك كتابه التدمرية نسبة إلى تدمر، وكذلك كتابه الواسطية، وهنا رسالة أيضاً سماها باسم البلد الذي فيه أهل هذا السؤال وهي مراكش.

وذلك أنه حصل نزاع بين المغاربة من أتباع الإمام مالك -رحمه الله تعالى- في وقته، معلوم أن مذهب الإمام مالك -رحمه الله- منتشر في المشرق منذ قرون، فطُلب من شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أن يُصنِّف في هذا الأمر ويُبين اعتقاد مالك -رحمه الله تعالى-

فصنف هذا المصنف ونقله المغاربة إليهم، وانتشر علمه -رحمه الله تعالى- في تلك البلاد -على بُعدها- وكذلك نشر الله تعالى علمه في بلدان أخرى، ولا يخفى على أحد أن الإمام المجدد أبا العباس ابن تيمية -رحمه الله- من علماء الأمة الكبار الذين أبان الله تعالى بهم الاعتقاد في وقت كان السائد هو اعتقاد المتكلمين وأهل التصوّف، ففصل مسائل بالغة الأهمية -رحمه الله-.

هذه الرسالة تُعد من أدق الرسائل، دقيقة للغاية وفيها مواضع مهمة تتعلق بموضوع الأسماء والصفات وتحرير القول الحق وتبيينه وتجد -إن شاء الله تعالى- في الرسالة العقل الحقيقي الذي يدل على ما دل عليه الشرع تماما دون مصادمة.

المصادمة التي زعمها المتكلمون وأنشأوا عليها ما سمّوه بالقانون الكلي، وصوروا الشرع كأنه مصادم للعقل، هذا أمر في غاية الخطورة، أن يُصَوّر الشرع على أنه ضد العقل أو أن يُصور على أنه ضد العلم الحديث الصحيح الذي فيه النفع، هذا فيه صد عن النصوص، ولهذا انتشر في هؤلاء عدم الاكتراث

بالنصـوص وتفاسـيرها، ولأجل ذلك هم يجهلون شـيئا غير قليل من الأحاديث المبيّنة للنصـوص القرآنية، فضلا عن تفاسير السلف -رضي الله عنهم-، فكان من ضمن ما حرّر وبيّن: هذه المسألة، أن العقل الحقيقي السـالم من المرض وأن الفطرة السـليمة السـالمة من التنجس بالضـلالات والزيغ لا يمكن أن يشـهد إلا بما دلت عليه النصوص، فإن الذي أنزل النص هو الله، والذي ركب العقل هو الله، والذي فطر الفِـطَر هو الله هو الحكيم الخبير العليم، فينزل ما أنزل من النصـوص فيشـهد لها العقل وتشـهد لها الفطر السـليمة، أما إذا تنجسـت الفطر وضـلت العقول فإنها تجدُ نفرة ووحشـة من هذه النصـوص، أما العقول السـليمة والفطَر المسـتقيمة فلا يمكن إلا أن تخضـع وتُذعن لهذه النصـوص، وهذا ما سـنراه -إن شـاء الله تعالى- في ثنايا كلامه.

نعم

الحمد لله رب العالمين سُـئِلَ شيخُ الإسلام فريدُ الزمان بحرُ العلومِ تقيُّ الدينِ أبو العباس أحمد ابنُ تيمية -رحمةُ الله عليه- عن رجُلَينِ تباحَثَا في مسـألةِ الإثباتِ للصِّـفاتِ والجزمِ بإثباتِ العلو على العرش فقال أحدُهما لا يجبُ على أحدٍ معرفةُ هذا ولا البحثُ عنه، بل يُكرهُ له، كما قال الإمامُ مالكٌ للسـائل: وما أراك إلا رجلُ سـوء، وإنما يجب عليه أن يعرف ويعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه وهو رب كل شـيء ومليكه وخالقه، بل ومن تكلم في شيء من هذا فهو مجسمٌ حشْوي، فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطئ؟

فإذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصـفات والعلو على العرش ويعرفوه؟

وما معنى التجسيم والحشو؟

أفتونا وابسطوا القول بسطاً شافيا يزيل الشبهات، مثابين مأجورين -إن شاء الله تعالى-.

هذا الكتاب عُرف موضوعه من مبدأ السؤال فيه، وكثير من الكتب يكون سببها السؤال، وعندنا سبب تأليف الكتب هذا باب جيد ينبغي أن يحرص طالب العلم على معرفته في الكتب التي تستحق أن يعرف السبب فيها، وكثير من الكتب يكون السبب في تصنيفها هو سؤال سُئِلَهُ العالم من علماء أهل السنة فيجيب.

عُرف من هذا أن السائل جَهِل مقصد مالك من البداية، فلما قال مالك كلمته الجليلة وسأله رجل: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟

علا مالكا الرُحَضاء، يعني العرَق، من خُبث سؤال السائل وجرأته ووقاحته، أن يسأل عن الله تعالى بكلمة كيف.

قال أهل العلم: لا يقال للأصل لِمَ ولا كيف، الأصل قرآن وسنة ولا يقال للأصل -يعني الدليل- لا يقال له لِمَ ولا يقال له كيف، فالعبد أقل وأذل من أن يسأل رب العالمين لماذا قلت كذا ولماذا شرعت كذا، والله تعالى هو الحكيم الخبير فهو أعلم.

فلما سئل مالك -رحمه الله- ولم يكن هذا من أسئلة المسلمين المعتادة، أسئلة المسلمين المعتادة تكون بالسؤال عن المعنى نفسه، أما كيفية رب العالمين فالله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لا يمكن أن يُحاط بالله تعالى علما حتى يُسأل عنه بكيف.

فقال مالك -رحمه الله- بعد أن أطرق رأسه -يعني أنزل رأسه- وعلاه الرحضاء -يعني العرق- من شدة السؤال عليه، ثم سُري عنه وفتح الله له هذا الجواب، انظر الآن، منذ كم قرن من القرون قاله مالك، وهكذا يهدي الله تعالى أئمة السنة إلى كلمات قد تكون قصيرة لكن فيها البركة والنفع العظيم.

قال للسائل: الاستواء معلوم.

وإذا كان معلوما فمن الواضح أنه يُفسر ويُبين لأنه معلوم، ولهذا في اللفظ الآخر قال الاستواء غير مجهول، لا أحد يجهل معنى الاستواء؛ لأن الاستواء إذا عُدّي بحرف على فهو جلي المعنى، بمعنى ارتفع، والدليل على هذا أن السلف فسروا الاستواء، فلو قال يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، ما معنى الاستواء؟ لَمَا علا مالكا الرُحضاء، ولما أطرق، ولما اشتد عليه السؤال، لأعطاه المعنى من كلام ابن عباس أو من كلام

مجاهد أو من كلام ابن مسعود وانتهى الأمر، لكن يقول كيف استوى؟ فالرجل لا يسأل عن معنى الاستواء وإنما يسأل عن كيفيته، فقال الاستواء معلوم، وإذا قال معلوم فالحقيقة أن الأمر جليّ للغاية، كأن تقول لقائل هل حكم صوم رمضان عندك معروف أو غير معروف؟ فإذا قال لك: معلوم قلت ما حكمه؟ واجب متحتم، إذا قوله أن استوى معلوم يعني معروف المعنى لكن من طريقة المتكلمين -قاتلهم الله- أنهم يأتون إلى النصوص الجلية في القرآن وفي السنة البيّنة فضلا عن كلام السلف والعلماء فيجعلونها غير بيّنة، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

من حرف النص الصريحَ فكيف لا ** يأتي بتحريفٍ على إنسانِ

أناس حرفوا نصوص القرآن والسنة هل يعجزون أن يحرفوا كلام مالك؟ واضح جدا، الاستواء معلوم، ولو أنك تسأل عن الاستواء ما معناه لأخبرتك بمعناه بما أرويه بسندي عن أحد السلف، لكنك تسأل عن الكيف.

الاستواء معلوم يعني معلومٌ معناه، أنه بمعنى ارتفع على العرش وعلا عليه، والكيف الذي تسأل عنه مجهول؛ لأن معرفة كيفية اتصاف الله بالصفة لا يمكن أن يتأتى إلا إذا أحيط بالله علما، والله قد نفى هذا عن نفسه، ولا شك أنه يستحيل أن يحاط به تعالى علما، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]

الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب؛ لأن الله أخبر به في سبعة مواضع من كتابه، وتمدّح به تمدُّحا، وذكره في أثناء تعريفه بنفسه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] تقول للمتكلمين: تؤوّلون هذا؟ يقولون: لا ما نؤوّله، خلق على ظاهره ثم استوى على العرش يقولون: نؤوّله.

سبحان الله العظيم ما الذي يجعلكم تُؤولون هذا دون هذا؟ مع أن الله تعالى يعرف بنفسه، الذي اسم موصول والذي بعده صلة الموصول ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] تؤولونه؟ قالوا: ما نؤوّله.

مدح؟ قالوا مدح، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] تؤولونه؟ قالوا ما نؤوله، مدح؟ نعم مدح. ما الذي جعل الاستواء ليس بمدح والذي قبله والذي بعده لا يليق بالله؟

الهوى، مجرد الهوى، لهذا ختم الله الآية بماذا؟ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] تعظيم رب العالمين -سبحانه وتعالى-، بعد أن عرف بنفسه.

ولهذا قال السلف كوكيع وغيره: بهذه الصفات عرفنا الله، يعني لو قال لك طفل من أطفالك: هل الله يسمعنا الآن جميعا كلنا؟ تقول: نعم.

فإذا قال هل الله ينام؟ تقول له: لا، لا ينام.

إذن أنت تعرف اللائق بالله وغير اللائق بالله من كتاب الله، ولهذا يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»

النصوص لا تترك للمتكلمين أن يخبروا الناس بالذي ينبغي والذي لا ينبغي.

لو قلنا لكم الآن: ما الذي لا ينبغي لله؟ قلتم لا ينبغي له الظلم والسنة والنوم والتعب.. من أين أتيتم بهذا؟ من النصوص.

إذن نحن ننفي ما نفى الله ونثبت ما أثبت الله، العزة والرأفة والرحمة.

الموضوع مثل الشمس في وضح النهار نثبت ما أثبت الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وننفي ما نفى الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ما الذي حدث في الأمة؟ حدث في الأمة الإلحاد الذي حذّر الله منه في كتابه.. ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الإلحاد ما معناه؟ معناه الميل، تميل هكذا، ومنه سمي اللحد في القبر، اللحد في القبر حين يشق القبر يُمال إلى جهة القبلة حتى توضع فيه الجنازة، فسمي لحدا، لماذا؟ لأنه ميل.

فحصَل المَيل، فجاء الممثلة وأثبتوا ما نفى الله في قوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] فزعموا أن صفات الله مثل صفات الخلق، فهذا الإلحاد الأول.

الإلحاد الثاني أتت النفاة فنفوا ما أثبت الله.

ما الفرق؟ الممثلة والمعطلة الجميع قد ألحد، ومعنى ألحد: مال، لأن الصراط المستقيم الذي تُجمع عليه الأمة إذا أثبت الله ورسوله أثبتنا، وإذا نفى الله ورسوله نفينا، هذا صراط المستقيم تماماً مثل ما أنك تقول إذا أوجب الله أوجبنا وإذا حرّم الله حرّمنا، هكذا.

متى يكون الإلحاد في الأحكام؟ إذا حرمت ما أوجب الله أو أوجبت ما حرم الله.

كذلك يكون الإلحاد في الاعتقاد، فكما يكون الإلحاد في الأحكام يكون الإلحاد في الاعتقاد.

فحين يتمدح رب العالمين بهذه الصفات، ويأتي مَن يقول: لا، هذه الصفات لا تليق بالله، طيب ماذا ستفعل فيها؟ قال أنفيها.

الآن ستنفي ما نفى الله، هذا واضح، والذي أثبَته تنفيه؟ أنت تنفي ما أثبت الله وتنفي ما نفى الله، فإجرامك مثل إجرام الممثل تماما، الذي يثبت ما نفى الله.

فنقول للممثل: ماذا ستثبت؟ يقول سأثبت ما أثبت الله هذا طيب وحسن، وماذا ستثبت؟ سيثبت ما نفى الله.

هذا الإلحاد، تنفي ما أثبت الله أو تثبت ما نفى الله.

والصراط المستقيم ان تثبت ما أثبت الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

طيب على أي معنى؟ على المعنى الذي فهمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفهمه الصحابةَ -رضي الله عنهم-، وأفهمه الصحابةُ التابعين، ونُقل إلى الأمة، هذا هو الصراط المستقيم.

وهل هذا موجود؟ موجود بالنصوص الثابتة التي تتأكد فيها من أن السند صحيح.

فمن أراد الهُدى لزم ما عليه السلف الصالح، ومن أراد الضلال قيل له انظر في أمر بالغ الأهمية، ستأتي يوم القيامة وأنت تابع لأحد من هؤلاء، فإما أن تكون جهميا تتبع الجهم ابن صفوان، أو معتزليا تتبع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، أو خارجيا تتبع ابن إباض أو نافع ابن الازرق أو نجدة الحروري، أو من شئت.

هل إمامك في هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن قال الله تعالى فيهم ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

وأئمة المتقين في الأمة هم الصحابة.

أم إمامك من هؤلاء الضُلال؟

ولهذا فالإمام مالك الذي سأل هؤلاء المالكية عنه، لما قيل له إن رجلا عندما دنت وفاته قالوا له تموت على دين من؟ قال أموت على دين أبي عمارة، هذا صاحب الفرقة التي يتبعها، يقول مالك: انظر إلى هذا الشقي يقول أموت على دين أبي عمارة ولا يقول أموت على دين أبي القاسم -صلى الله عليه وسلم-.

نسأل الله حسن الخاتمة والموت على ما مات عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قلبه معلق بأبي عمارة تماما، مثلما أن كل ضال يتعلق بصاحب الطريقة التي يتبعها او بالفرقة الكلامية التي يتبعها، ولا يكون في ذهنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ولهذا يقول سفيان الثوري: إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل، يعني من شدة الاتّباع.

حتى لو قُدّر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- له طريقة في حك رأسه فاعرفها وحك رأسك مثلما حك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

يعني إلى هذا الحد من الاتباع، هذا الاتباع الصحيح، أن تأتي إلى النصوص هذا المأتى وتتعامل معها هذا التعامل ولذا يأتينا -إن شاء الله تعالى- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يوضح النصوص للصحابة، وكان في مقام المُبيّن.

ولهذا يا إخوة انتبهوا لأمر بالغ الأهمية لو كان القول الحق -كما سيأتينا- قول المتكلمين لكانت النصوص هذه تضليلا للأمة، يعني يا إخوة خذوا هذا الحديث في صحيح مسلم، النبي -عليه الصلاة والسلام- أتى مطر، تعرفون العرب تلبس الرداء والإزار، أو يلبسون القميص، النبي -صلى الله عليه وسلم- لما أتى المطر حسر عن الرداء حتى يصيبه المطر، قالوا يا رسول الله لماذا فعلت هذا؟ قال «حديثُ عهدٍ بربه» تأكيد للعلو حتى في مثل هذه المسائل.

ولما أراد معاوية بن الحكم أن يُعتق جارية من جواريه قال: «ائتني بها» قال لها «أين الله؟» قالت في السماء، قال «من أنا؟» قالت رسول الله، قال «أعتقها فإنها مؤمنة» كلمة المؤمن، كلمة المشرك، كلمة النفاق، كلمة الفسق، الضلال، هذه إطلاقات شرعية لا يمكن أن يضعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا على المستحق، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة.

انظر ماذا يتحدث الآن وقبل الآن المعتزلة والأشعرية عن هذا الحديث، يقولون: خاطبها على قدر عقلها، سبحان الله العظيم، يعني أنها ضالة واعتقدت أن الله في السماء فخاطبها على قدر عقلها، طيب يشهد لها بكلمة مؤمن هكذا؟ ويوقعها عليها؟

أيضلل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأمة حين يحسر عن ردائه ويقول: «حديث عهد بربه» وحين يخطب في أكثر من مائة ألف، فيهم الأعراب وفيهم حديث العهد بالإسلام فيقول كما في صحيح مسلم: «وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: «اللهم اشهد» يعني اشهد عليهم، ثم ثانية وثالثة «اللهم اشهد، اللهم اشهد» يشير إلى الله، اشهد.

ماذا تقول المعتزلة؟ من أشار إلى السماء يريد الله كفر.

قبحكم الله، تكفرون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر بين مئة ألف إنسان يخطب فيهم، ثم تقولون: من أشار ويريد الله فإن إشارته تجسيم يكفر بها.

وكذلك قالها من قالها من الأشاعرة، وهو حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمام الملأ أمام الناس.

أُناس بعضهم لم يسلم إلا منذ أيام قليلة كوفود العرب التي أتت في آخر عام تسع، ويقول هذا الأمر أمامهم -عليه الصلاة والسلام- ليقرر فيه الصفات.

وهكذا مثل هذه المسألة لما حسر عن ردائه -عليه الصلاة والسلام- يقول لك: إذا أثبتّ العلو فأنت مجسم وأنت كافر، تُطلقون هذه العبارة أنه كافر، هذه النصوص ماذا تفعلون بها؟ إذا وضع الإنسان أيها الأخوة أي صادّ يصده عن النصوص فلن يهتدي بالنصوص ولو كانت ما كانت في عددها ووضوحها.

فلما وضعوا ما سموه بالقانون الكلي وصاروا يتعاملون مع النصوص أن النص إذا خالف العقل -الذي هو الهوى في الحقيقة- قالوا فإنه يُطرح؛ لأنك إذا قدمت النقل على العقل قدحت في العقل الذي هو أصل النقل، فكان قدحك في العقل قدحا يعود على النقل.

هذه الفلسفة الفارغة اذهبوا بها إلى ابن سينا وإلى أفلاطون وأرسطو الذين أتيتم بالكلام الفارغ منهم، أما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أنزل الله عليه كتابا سمّاه بالهُدى والشفاء والنور والفُرقان والقيّم.

جلي واضح ولله الحمد والشكر، المهم أن تكون تعرف لغة العرب، سواء كنت من أهلها أو تعلمتها، فإذا عرفتها اتضح لك أنها على أوضح ما تكون هذه النصوص، فإذا جعلت شيئا يصدّك عنها وصرت تقول: هذا يؤدي إلى التجسيم، هذا يترتب عليه كذا.

هذا الأمر فطنت له أنت أيها المعتزلي الجهمي أو أيًّا كنت، دون الصحابة الذين هم أعلم الأمة بنص القرآن؟

ما الدليل على أن الصحابة أعلم الأمة بنصّ القرآن الكريم؟

من اللي علم الصحابة؟ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

في ظنّكم، أفضل مُعلم سيتخرج على يديه من؟ أفضل المتعلمين.

وهو قول الله ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

أرأيتم أن الصحابة علّمهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ ماذا أريد بكلام الجهم بن صفوان أو ابن سينا أو غيره؟ ماذا أريد بهذا الكلام؟ حُثالة لا يساوي شيئا أمام علم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي المهم أن أعرف أنه ثبت عن الصحابة، فإذا ثبت فلا شك أنهم قد تلقوه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

هنا الإنسان تنفتح له هذه المسألة، لأنه في بعض الأحيان تكون مثل الأغلفة على القلوب ومثل الغشاوة على العيون، هذه القوانين التي يسترسل فيها هؤلاء الناس، مثل القانون الكلي، انظر كم اقتنع به للأسف من أناس كثير، فلما جاء شيخ الإسلام في كتاب درء التعارض قلب عليهم هذا الدليل وأتى بالقانون الإسلامي الذي ينقض به هذا القانون الفارغ هذا.

ثم عندنا مسألة سنشير إليها -إن شاء الله-، أنت عندما تقول: نقدم العقل على النقل، العقل ما هو؟ هو فهمك أنت، وهواك غلفته بغلاف سميته العقل، وإلا فيا لله العجب أتكون أنت أعقل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة فتقول أقدم عقلي؟

أولئك القوم قد أقروا الصفات على ظاهرها.

قال لا، مذهب السلف أسلم لكن مذهبنا أعلم وأحكم.

هذه الكلمة أيها الإخوة تدين من قالها بين يدي جبار السماوات والأرض، لأنه اعترف أن مذهبه ليس مذهب السلف، ثم لأنه قال: مذهب السلف ومذهبنا، عنده استعداد أن يكون للسلف مذهب وله مذهب.

ثم زاد الطين بلّة بقوله إن مذهبنا أعلم.

أعلم من مذهب أبي بكر وعمر؟ وأحكم من مذهب أبي بكر وعمر؟

لكنها الأغشية التي تتغشّى منها القلوب وتغطي على الأعين فيتوهّم الإنسان هذه الأوهام ويقول كلمات في غاية الفظاعة، لكن الناس من طبعهم أن يقلّد بعضهم بعضا ويتداولوا كلمات لو تأملها المتأمّل لعَلِم أنها من الكلمات المسخطة لرب العالمين سبحانه، أن يقال: إن المتأخرين أعلم من المتقدّمين.

ولهذا توجد في عبارات وكتابات المتكلمين أمور بالغة الشناعة في استهجان ما عليه السلف الصالح -رضي الله عنهم- وأن إليهم هم المتكلمين الفهم والعلم.

ومن هذا الذي ذُكر الآن في المقدمة هنا، لما أتى إلى كلام مالك -رحمه الله تعالى- وسأله عن الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو، يقول الأول: لا يجب على أحد معرفة هذا.

لا يجب على أحد أن يعرف صفات الله؟

الذي عرّف بنفسه بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وتمدح -سبحانه وتعالى- وقال -ومثل هذه الآية تأملها يا أخي وأنت تقرأ القرآن- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] فرتب الحذر على أن الله يعلم ما في نفسك، كل من حولك لا يعلمون ما الذي في نفسك لكن الله يعلم ما في نفسك، فقال احذر لأن الله يعلم ما الذي توسوس به نفسك، هنا تعرف أن إثبات الصفات لا يزيدك إلا تعظيما لله -سبحانه وتعالى-.

فحين يُؤتى إلى هذه الصفات التي هي تعريف بالله -عز وجل- وتعليم ما الذي يليق بالله وما الذي لا يليق بالله، يُعرفنا الله تعالى بذلك وينفي ما لا يليق ويُثبت ما يليق -سبحانه وتعالى-، وكذلك رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فكيف يُقال لا يجب معرفة هذا؟ هذا أشرف العلوم علم التوحيد، التوحيد الحقيقي ليس علم المتكلمين الذي سمّوه أصول الدين -كما سيأتي له كلام إن شاء الله تعالى-، علم التوحيد الحقيقي.

فحين يقول: لا يجب على أحد معرفة هذا! فهو أشد مما لو قال أحد: لا يجب على أحد معرفة أحكام الوضوء ولا الصلاة، هذا أشد؛ لأن هذا يقول: اقطع معرفتك بالله تعالى من النصوص ولا تبحث عنه بل يكره، هكذا بكل سهولة قال: يُكره له.

كما قال مالك: وما أراك إلا رجل سوء.

وما علاقة قول مالك لرجل سأل عن الكيفية بقولك: إنه يكره الخوض بهذا؟

ثم قال: إنما يجب أن يعرف ويعتقد أن الله واحد في ملكه هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، يعني الإقرار بأي توحيد؟ بتوحيد الربوبية، هذا فهمه، مع أن الله بعث الرسل بتوحيد الإلهية.

بل من تكلم في شيء هذا فهو مجسم حشوي بدأت الآن التهم، وهي كلمات من المعتزلة وصار يتداولها بعدهم الجهمية والمعتزلة، مجسمٌ يعني أنه يثبت لله تعالى أنه كغيره من المخلوقين الذين لهم جسم، ويأتي لها تفصيل -إن شاء الله-.

حشْوي: الحشو هم وسط الناس الذين لا خير فيهم، يعني هم حشو الناس الذين لا خير ولا علم ولا معرفة عندهم.

فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب؟ وإذا كان مخطئاً فما الدليل؟

بعد ذلك فصل شيخ الإسلام.

به تعرف أن السؤال نشأ في بيئة فاسدة، يعني حين يقول قائل هذا الكلام فهو لا يعرف الاعتقاد الحق في الصفات، ولهذا فصلها شيخ الإسلام على ما ترى.

نعم

فأجاب المُشار إليه قائلا: الحمد لله رب العالمين، يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة، وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة، إذ الكاذب ليس برسول فيما يَكذِبه، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

هناك أيها الإخوة مسألة تسمى براعة الاستهلال، براعة الاستهلال في الخطب في الأجوبة، شيخ الإسلام انظر كيف بدأ في جوابه لم يذهب ليقول: إنه يجب، بل أرجع الأمر إلى الأمر الذي يتفق عليه الجميع وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فمن شهد أنه رسول الله فلا شك أنه يشهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يخبر به عن الله يخبر بأمور يثبتها وبأمور ينفيها، فإذا كنت مصدقا له حقا في أنه رسول الله فصدقه فيما أثبت وفيما نفى؛ لأن هذا داخل في الخبر، إذ مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، هذا مقتضى هذه الشهادة.

فإذا قلت: أنا أشهد أنه رسول الله حقا: فصدقه فيما أخبر، وأعظم ما أخبر به الخبر عن الله.

أجلّ أخبار النبي -عليه الصلاة والسلام- الأخبار عن الله.

لهذا قال: يجب على الخلق الإقرار بما جاء به -عليه الصلاة والسلام-، فما جاء به القرآن العزيز أو جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- في السنة المعلومة يعني الثابتة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا يعني إذا جاء خبر مفصلا فإنا نؤمن به بتفصيله، وإذا جاء إجمالا آمنا به بحسب ما وردنا.

فعلى سبيل المثال: الإيمان بالرسل الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب فيها إجمال وفيها تفصيل، فأنت إذا قيل لك: كم عدد الرسل؟ قلت نوح وهود وشعيب.. نوح بقي في أمته تسعمائة وخمسين سنة ولم يجبه من

قومه إلا القليل وقد قال لقومه وقال قومه له من أين أتيت بهذا التفصيل الذي أخبرك الله تعالى به وأخبر الله برسل آخرين لا نعرفهم ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] كيف نؤمن بالذين لم يخبرنا الله تعالى بهم؟ نؤمن بهم إجمالا.

نؤمن أنهم صادقون فيما أخبروا عن الله وإن لم نعرف أسماءهم ولا أزمانهم ولا الكتب التي أنزلت إليهم، نؤمن بهم إجمالا.

وهكذا الملائكة نؤمن بأسماء جبريل ميكائيل إلى آخره، والبقية؟ البقية أكثرهم لا نعرف أسماءهم ولا أخبارهم لكن أتتنا نصوص عامة فيما نعرف عن الملائكة، لكن ما أسماء بقيتهم؟ لا تعرف. والذي تجهله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] والذي نجهله أكثر بكثير مما نعلم.

وهكذا ما يتعلق بالكتب وغيرها، فما جاءنا مجملاً آمنا به مجملاً وما جاءنا مفصلاً آمنا به مفصلاً فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

يقول: وهو تحقيق شهادة ألا إله إلا الله، والله -عز وجل- أخبر أن نبيه -عليه الصلاة والسلام- لو تقوّل، لو هذه تعلم أنها حرف من حروف الشرط وحرف الشرط لا يلزم الامتناع، بل هي حرف امتناع لامتناع، فيخبر الله تعالى أنه على تقدير أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحاشاه من ذلك، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] فلا يمكن أن يخبر عن الله تعالى إلا بالحق، وقد قال له الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]

فبلّغ -صلوات الله وسلامه عليه- كل شيء حتى بلّغ الآيات التي أبكته فيما فعل هو، أسرى بدر، كما في صحيح مسلم، لما نزلت بكى -عليه الصلاة والسلام- لأن الله تعالى قال: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

وهكذا ما أنزل الله عليه من مواضع العتب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ١-٢] ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]

إلى غير ذلك من النصوص، كلها قد بلغها -عليه الصلاة والسلام-.

وتقول عائشة -رضي الله عنها-: لو كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كاتماً شيئاً لكتم هذه الآيات.

لا يمكن أن يكتم، لا بد أن يبلغ البلاغ المبين -صلوات الله وسلامه عليه-.

إذن هو لا ينطق عن الهوى -عليه الصلاة والسلام- والقرآن كما قال تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] احفظ الآية واستحضرها دائماً لأنها تنهي نقاش المعتزلة، نقول للمعتزلة ولجميع المتكلمين، كل كلام يكون في القرآن يجعلونه قرآنا ذا عوج، والله يقول ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] ما هو بعوج، الاستواء معناه الارتفاع، يقول: لا، معناه الاستيلاء.

بهذه الطريقة تكون معاني عوجاء غير واضحة.

ثم الآن تقول الاستواء معناه الاستيلاء، وهذا الكلام لا يُعرف في السلف نهائيا، حتى تقوله الجهمية فيما بعد ولا يُكتشف هذا وتأتي النصوص والأخبار عن السلف بأن الاستواء على معناه الواضح الجلي، ثم تأتون وتعوجون الكلام وتقولون: نحن أولى بالعلم والحكمة فمذهبنا أعلم وأحكم؟!

مذهبكم أجهل وأبعد عن الحكمة؛ لأن كلام الله كما وصفه من أنزله تعالى هدى ونور وشفاء وبيّن وفرقان وفصل، وما دام كذلك فإن الهدى فيه، لا أن يكون الهدى فيما هو من خلفه مما كأنه يكتشف اكتشافات الباطنية.

ولهذا فالباطنية الآن حين يناظرون وينازعون، وكذلك الفلاسفة حين يناظرون المتكلمين لا يستطيع المتكلمون أن يردوا عليهم الرد المُسكت، ما يرد عليهم إلا الملتزم لمذهب السلف، لأنه ماذا يقول المتفلسف؟ يقول أنا تأولت الجنة والنار، قلت إنها ليس لها حقائق، مع أن موضوع الجنة والنار أقل من موضوع صفات رب العالمين، وأنتم تأولتم صفات رب العالمين وهي أجلّ وأرفع.

الأمر الآخر النصوص الواردة في صفات رب العالمين أكثر وأجلى وأوضح من النصوص الواردة في موضوع القيامة، ولهذا نظمها ابن القيم على لسانهم كيف أن الفلاسفة أحرجوا المتكلمين، وإن كان قطعا

المتكلمون يردّون عليهم من وجوه أخرى، لكن يبقى المتكلم ضعيف الرد على المتفلسف لأنه قد سلم له بعض الأشياء أن النص ليس على ظاهره ،وأنه قد غير المعاني التي عُرفت عن السلف، فيقول المتفلسف: أنا وإياك سواء، لكن أنا مددت التأويل حتى أولت الجنة والنار وغيرها، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله- ناظما لحجة المتفلسفة عليهم حين واجهوا المتكلمين الذين يتأولون النصوص المتعلقة بالله:

ألكم على تأويلكم أجرانِ حيث لنا على تأويلنا وزرانِ

إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهاتوا واضح الفُرقانِ

نحن تأولنا النصوص وأنتم تأولتم النصوص، وخالفنا نحن السلف وأنتم خالفتم السلف.

فمبدأ التأويل الفارغ، الذي هو التحريف للنصوص، المخالف لما قرره السلف هو الذي فتح الباب لهذه الإشكالات، ومبدأه من عدو الله الجهم بن صفوان، وتسلسل في المعتزلة ومن بعدهم، وصارت الفرق تعبّ من هذا الموضع المنتن، وتفاوتت في ذلك لكن سبحان الله مقالات الجهم بن صفوان لمن عرفها وفهمها موجودة في جميع الفرق، ولا تستثن منها فرقة واحدة، ولم يسلم إلا السلف والمستمسكون بهديهم، ولهذا الشيء يقول ابن القيم -رحمه الله- في الجهم بن صفوان:

فلذا تقاسمت الطوائف قوله ** وتوارثوهُ إرث ذي سُهمانِ

لم ينجُ من أقواله طُرا سوى ** أهل الحديث وعسكر القرآنِ

أما البقية، المعتزلة خصوم للجهم وردوا عليه وردّ عليهم، ومع ذلك وافقوه في موضوع الصفات، وهكذا مجموعة من الفرق إذا نظرت وإذا أثر الجهم موجود في جميع الفرق.

فالحاصل أن الإشكال في النظر إلى النصوص العظيمة التي عظّم الله من شأنها ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] أن يُنظر إليها النظرة المتدنية، وكأنها فقط الاستشفاء والبركة لكن المعاني الغزيرة الحقيقية ليست فيها وإنما فيما سموه بالعقل، هنا يكون بينك وبين النص عدم

فائدة ولو حفظت القرآن صغيرا ومت عليه تختمه كل ثلاثة أيام حتى لقيت الله وعمرك مائة سنة، مادام هذا الغشاء بينك وبين فهم القرآن لا تنتفع ولا تستفيد، ولهذا ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الخوارج -فرقة من الفرق- «يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم» هم يظنّون القرآن لهم لكنه عليهم، فلأجل ذلك لا يمكن أن تكون تفاسير السلف والمعاني التي بيّنها السلف للأمة باطلة و يكون كلام المتأخرين عنهم هو الصواب، لا بد أن يكون الصواب في كلام السلف بلا أدنى ريب، أما أن تضع هذا الفارق وتقول مذهبي أعلم وأحكم ومذهب أولئك أسلم، هذا اعتراف منك أصلا يدينك بهذه الكلمة التي تدين صاحبها، بعض الكلمات يتداولها الناس و فيها الإدانة للواحد منهم.

نعم

وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لا يحتاج إلى تقريره هنا، وهو الإقرار بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو ما جاء به في القرآن والسنة كما قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

وقال تعالى ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١]

وقال تعالى ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١]

وقال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]

وقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]

هذه الآيات أوردها لبيان أن هذا المقرر عند أهل السنة معلوم بالاضطرار.

العلم نوعان: علم نظري تتعلمه تعلما وعلم اضطراري.

العلوم الاضطرارية من جلائها ووضوحها يعلمها الجميع، فتجد أن الجميع قد علمها دون حاجة إلى تعليم؛ لجلائها وشدة اشتهارها ووضوحها، فهذا الذي قرره هنا لا شك أنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

وهو الإقرار بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به القرآن العظيم، وأورد الآيات، تأمل كم في الآيات من كلمة يعلمهم، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

يا إخوة أنتم تتعلمون وتدرسون في جامعات ثم يكون للتعلم فائدة وأنكم تتخرجون وتكونون طلاب علم.

أَيُّعَلِّمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابَه الكرام الذين اختارهم الله له اختياراً، ثم لا يكون لهذا التعليم فائدة ولا يكون له ثمرة ولا نتيجة؟ معاذ الله، ولذا قال في الآية بعدها ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ [البقرة: ١٥١] سيكون لهذا التعليم أكبر الفائدة وأعظم مَن يتخرج، بل هم خيار التلاميذ، كما يقول السلف: لا كان ولا يكون مثلهم إلى يوم القيامة سوى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

ولهذه الأمة خيرية في كل شيء، القرآن خير الكتب، النبي -صلى الله عليه وسلم- خير الرسل، أصحابه خير أصحاب الرسل -رضي الله عنهم وأرضاهم-

والأمة من حيث هي: خير الأمم على الإطلاق، فلا يمكن أن يكون هذا الحق الجلي المتعلق بالله غير بيّن، غير واضح حتى جاء المتكلمون فعلّموه الناس، قالوا: دعوا مذهب السلف هذا أسلم، ما معنى أسلم؟ يعني مثل الناس الطيبين هؤلاء الذين يصلّون الليل ويصومون النهار وعُباد، لكن يبقون عوامّ لا يعرفون شيئا، العلم عندنا!

أمر عجيب تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدا، أن يُقال هذا في تلاميذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم يُقال في المقابل من تلاميذ الجهم بن صفوان والمعتزلة وأمثالهم: هؤلاء الذين عندهم العلم والحكمة.

فالحاصل أن هذه الآيات يجب على الأمة أن تراعيها وتطبقها.

ومنها الآيات التي فيها الأمر ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]

يعظكم بماذا؟ بالقرآن كله.

وهكذا قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] فالواجب أن يطاع فيما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- كما أنه يُصدق في أحكام الوضوء والطهارة والزكاة والحج، أيضا يجب أن يصدق فيما يخبر به عن ربه تعالى.

ثم قال الله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥]

ألم يشجر في الأمة نزاع في مسائل الاعتقاد، في الصفات، في القدر، في مكانة الصحابة -رضي الله عنهم-؟

إذا رجع الناس إلى القرآن وإذا به يأمرهم بأن يحكموا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأمور فيرجع المتخاصمون في الصفات إلى رسول الله -عليه الصلاة والسلام- والمتخاصمون في القدر والمتخاصمون في الصحابة وفي النبوة وفي كل باب من الأبواب يرجعون إليه -عليه الصلاة والسلام-، تماما كما أنهم يرجعون الى أحكامه -عليه الصلاة والسلام- عند النزاع، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥]

وإذا حكموك فيجب عليهم بعد تحكيمك أمران اثنان ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]

ألم يحكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أمور الاعتقاد؟

بلى والله، ولو أتى ليحكم في أمور الأحكام ويترك أمور الاعتقاد لكان الدين ناقصا نقصا جليا بينا؛ لأن الأحكام تبنى على الاعتقاد، فاذا كان الاعتقاد لم يبين ثم ذهب حاشاه -عليه الصلاة والسلام- ليبين أحكام الطهارة والوضوء والصلاة والزكاة والشفعة والبيع والإجارة ويترك المتعلق بالرب -سبحانه وتعالى- هذا لا يمكن أن يكون دين كمال.

ولذلك قال مالك -رحمه الله تعالى-، لما سُئل الشافعي عن التوحيد قال: سئل مالك عن التوحيد فقال: محال أن يخبرنا النبي -عليه الصلاة والسلام- بأحكام التخلي -يعني آداب قضاء الحاجة، إذا توضأت كيف تتنظف، وأن لا تمس ذكرك وأنت تقضي حاجتك، وأن لا تستنجي باليمين- يقول: محال أن يبين النبي -عليه الصلاة والسلام- أحكام الاستنجاء ويترك باب التوحيد، مستحيل هذا الأمر.

هذا يرويه الشافعي عن مالك، هذا في كتاب اعتقاد الهكاري، ورواه أيضا صاحب ذم الكلام.

والتوحيد ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أُمِرْتُ أن أُقاتِل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» طيب عند المعتزلة ما هو التوحيد؟ نفي الصفات.

عند المتكلمين ما معنى لا إله إلا الله؟ القادر على الاختراع.

طيب القادر على الاختراع هذه، من أين أولاً أتيتم بأن معنى الإله هو القادر على الاختراع؟ الأمر الثاني ماذا تفعلون بالنصوص التي فيها تبيين أن معنى الإله: المعبود -سبحانه وتعالى-.

معناها المعبود، لا معبودَ بحقٍ إلا الله، وهذا بيّنه السلف -رضي الله عنهم-.

فجاؤوا ببدعة سموها توحيدا، وكان رأس هذه الأمور المعتزلة.

ولهذا جاء عن أبي حنيفة -رحمه الله- وعن مالك -رحمه الله- معًا أنهما قالا: لعن الله عمرو بن عبيد.

عمرو بن عبيد هو رأس المعتزلة، فإنه الذي فتح للناس الكلام في هذه المسائل، ولما جاء رجل وسأل مالكًا وكذلك أبا حنيفة عن الجوهر والعرض قال لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعنة الله على عمرو بن عبيد فإنه أول من فتح للناس هذه الأبواب.

ولذا ماذا قال الإمام الجليل ابن سريج؟ توحيد جماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام على طريقة المتكلمين.

فالتوحيد جلي -ولله الحمد- وبيّن، بيّنته نصوص القرآن والسنة، فيجب أن يحكّم النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] لو لم يكن الرد إلى الله والرسول فيه الهدى والبيان وقطع هذه المشاجرة لما أمر الله بالرد.

الآن ماذا يقول المتكلمون؟ ردوه إلى الله والرسول؟ يقولون لا، نرده إلى ما سموه بالقواطع العقلية

هي وَهْم كما -يأتي إن شاء الله تعالى- ويسمونها قواطع عقلية، وهي في الحقيقة هوى.

ثم قلنا: لو سلمنا لكم وقلنا نردّها إلى القواطع العقلية، ومعاذ الله أن نفعل هذا، ونعوذ بالله من سوء الختام، لو فعلنا هذا لساءت خاتمتنا، قلنا لكم فردوه إلى الله والرسول.

أرده إلى مَن؟ إلى المعتزلة أم إلى الجهمية أم إلى الكلابية أم إلى الأشعرية أم الماتريدية؟ إلى مَن أردّه؟

طيب إذا دخلت في محيط الأشاعرة، الأشاعرة ثلاث مدارس:

مدرسة أبي الحسن الأشعري الأولى.

مدرسة أبي المعالي الجويني المعتزلية.

المدرسة الأشعرية الفلسفية، البيضاوي والرازي.

أردُّه إلى من؟ ثم هم يردون على بعضــهم، هم يردون على بعضــهم في نفس المحيط داخل الفرقة الواحدة، نرد إلى من؟ إذن إن رددنا إلى ما سميتموه العقل -وهو الهوى- ضاعت الأمة وضلّت.

كل واحد منكم عنده مثل الدكان يقول تعالَ، إليّ الهدى، وهذا يقول إليّ الهدى، الآن ستضيع الأمة، ستقع الحيرة، كل واحد يقول: الهدى عندي.

أتدري أن أصحاب أبي هاشم الجُبّائي من الجُبائية، من ضُلال المعتزلة، أبو هاشم الجبائي له أتباع وأبوه أبو علي له أتباع، أتباع أبي هاشــم الابن يكفرون أباه أبا علي، وأتباع أبيه أبي علي يكفرون ابنه أبا هاشــم، هذا في محيط المعتزلة في الداخل.

ولهذا يقول السمعاني: إن التلاميذ يكفرون الشيوخ من المعتزلة، والشيوخ يكفرون التلاميذ، أرد إليكم؟

أنتم الآن فيما بينكم معاشــر المتكلمين داخل الفرقة الواحدة متطاحنون تطاحُنا، كل واحد منكم يضــلل الآخر، أترك الرد إلى الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وأرد إليكم؟

هذا والله إذن ضلال مبين.

لذا أمر الله بالرد إلى الله والرسـول وترك الرد مثلا إلى الأمور القبائلية التي كانت عند العرب، وإلى الأعراف السائدة في الناس، وإلى أهواء الناس وأذواقهم، يُرد كل هذا ويوزن بميزان الكتاب والسنة.

نعم

ومما جاء به الرســول رضــاه عن الســابقين الأولين وعمّن اتبعهم بإحســان إلى يوم الدين كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

تأمل هذه الآية، دائما نحن نقول: هذه الآية ترد على من؟ على الشيعة، فقط؟

لا، ترد على كل الفرق، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ [التوبة: ١٠٠] لما قال تعالى: اتبعوهم شرَط شرطا هو الإحسان، هذا الشرط لم يذكره في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لماذا؟ لأنهم هم محسنون أصلا.

الذين يأتون بعدهم إلى يوم القيامة حتى يرضى الله عنهم لا بد ان يتبعوا السابقين الأولين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [التوبة: ١٠٠]

فإن كنت تريد رضا الله ودخول الجنة فاتبع السابقين الأولين، في ماذا؟ في الأدب وفي قيام الليل وفي الألفاظ الحسنة، وتخالفهم في العقيدة؟ سبحان الله هذه أمور منكوسة.

أساس اتباع السابقين الأولين: في عقيدتهم، والدليل على هذا أيها الإخوة، من الذين صنفوا المصنفات في عقيدة السلف؟ لا المُعتزلة ولا الجهمية ولا المتكلمون ولا الخوارج، ما صنفها إلا أئمة السُنة، وذهبت أعمارهم فأبقى الله ذكرهم إلى يوم القيامة، في التحرير، في البحث عن أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأثار الصحابة والتابعين حتى أبرزوها للأمة، وصرنا نعرف العقيدة التي عليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فللمصنفين هؤلاء الفضل على الأمة إلى قيام الساعة، رحمة الله تعالى عليهم، لأنهم أعطوك العقيدة التي عليها السابقون الأولون حتى تتبعهم.

أما أن تقول طريقة أبي بكر وعمر والسابقين في قيام الليل أريد أن أعرفها وأريد أن أعرف طريقتهم في الصيام، طريقتهم في الألفاظ وفي التعامل مع الجار والوالدين، طيب والعقيدة؟ لا، العقيدة مذهبهم أسلم ومذهبي أعلم وأحكم، كيف بهذا تصير متبعا لهم؟ لا يمكن أن تكون متبعا لهم إلا إذا اتبعتهم في الأساس الأكبر وهو الاعتقاد وبنَيت عليه الأعمال، ولذلك قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] يقول شيخ الإسلام: فرضي عن السابقين ولم يرض عمن بعدهم إلا بأن يتبعوهم بإحسان.

اتبعوهم في ماذا؟ في كل شيء، فهذه الآية لا شك أنها أقوى ما يكون في الرد على الشيعة، لكنها أيضا ترد على جميع من خالف الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

نعم

ومما جاء به الرسول: إخباره بأنه تعالى قد أكمل الدين بقوله سبحانه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

ومما جاء به الرسول: أمرُ الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]

وقال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

ومعلوم أنه –صلى الله عليه وسلم– قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا، فإن كتمان ما أنزله الله تعالى إليه يناقض موجَب الرسالة، كما أن الكذب يناقض موجَب الرسالة، ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة ،كما أنه معصوم من الكذب فيها، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله تعالى، وبين ما أُنزِل إليه من ربه، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كَمُلَ بما بلّغه، إذ الدين لم يُعرف إلا بتبليغه، فعُلم أنه بلّغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده، كما قال –صلى الله عليه وسلم– «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك«

وقال «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به»

وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما طائرٌ يقلب جناحيه في السماء إلا أفادنا منه علما.

هذه الآن يا إخوة مجموعة من المقدمات ذكرها لك ليبني عليها النتيجة الآتية.

فأول ما نبه عليه أن الله تعالى قد أكمل الدين ولا يمكن أن يكمُل الدين إذا كان الأصل الأكبر والأساس الأعظم فيه غير مبيّن، وهو الاعتقاد، قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] عقيدة وشريعة قد أتمها الله وأكملها بفضله ومنته، ومنّ علينا بأن رضيها لنا دينا، هذا الأمر الأول.

إذن انتهينا من أمر كمال هذا الدين، طيب هل هذا الأمر الكامل بُلغ أو لم يُبلغ؟ فإنه إن لم يبلغ لم يستفد من كماله لأنه قد يكون كاملا في نفسه لكنه ما بُلغ.

وهل قال أحد إن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما بلّغ؟

الرافضة تقوله، تقول إن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما بلّغ ولهذا الخميني يقول في عام ألف وأربعمائة فيما سموه بعيد المهدي عندهم: لو كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد بلّغ كما ينبغي لما وُجد في المسلمين خلافات لا في أصول الدين ولا في فروعه. كذا يقول -قاتله الله وحشا قبره نارا- يعني كأن السبب في الخلافات هي عدم التبليغ، وهكذا الرافضة يقولون: ما بلّغ ما يتعلق بأمر علي وما يتعلق بأمر إمامته وأنه واجب الطاعة وأن الأئمة من ولده ومن ولد الحسين بن علي -رضي الله عنهما- وأنهم فلان وفلان وفلان، لو كان الأمر كما قالوا لا شك أن الحجة لا تقوم على الناس أصلا، لأن الدين إذا لم يكن كاملا فهذا نقص فيه، فإذا كان كاملا وزال النقص فيه لكنه لم يبلغ فإنه لم يُستفَد من كماله، لأن الإشكال في عدم تبليغ الكمال.

واعلم مسألة مهمة، للأسف قلّ التنبيه لها، نبه عليها الشيخ حافظ حكمي وغيره من العلماء:

الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة لا تنفع أحدا إلا إذا شهِد له بالبلاغ، فلو شهد أن محمدا رسول الله ولم يشهد له بالبلاغ لا يكون مسلما حتى يشهد أنه قد بلّغ.

هذا الأمر الثاني الذي نبه عليه، وهو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قد أمره الله تبارك وتعالى بالبلاغ، وبلّغ -عليه الصلاة والسلام- أجلّ أنواع التبليغ حتى أنك إذا أردت مسألة من مسائل الاعتقاد تجد الدلالة عليها من وجه أو من وجوه؟، -سبحان الله- تجدها من وجوه متعددة، من وجوه كثيرة، مثل مسألة العلو، مسألة العلو انظر كيف دلت النصوص عليها من عدة وجوه.

هذه الوجوه الكثيرة كلها لإثبات أمر واحد متعلق بالصفات، وهو أمر علو الله، مثل التصريح بأن الله في السماء ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]

وقوله «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» وقوله -عليه الصلاة والسلام- للجارية «أين الله» قالت: في السماء، «مَن أنا» قالت: رسول الله، قال «أعتقها فإنها مؤمنة».

هذا النوع الأول.

النوع الثاني: التصريح بالفوقية، وهو مذكور في القرآن في ثلاثة مواضع، التصريح بالعروج والصعود إليه - كما سيأتينا إن شاء الله تعالى- لأن الله تعالى في العلو.

الذي ينزله الله تعالى يُعبّر عنه بأنه نازل من عند الله -عز وجل-، عندك حديث المعراج، اتفقت عليه الأمة في تفاصيله، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عُرج به إلى السماء الأولى وجد فيها آدم في الثانية في الثالثة في الرابعة في الخامسة في السادسة في السابعة وجد إبراهيم، ثم ارتفع به إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكلَّمه الله تعالى من وراء حجاب.

طيب، لما نزل للسماء السادسة ماذا قال له موسى؟

ماذا فرض عليك ربك؟ قال: خمسين، قال إن أمتك لا تطيق، فصعد به جبريل مرة أخرى إلى الله، صارت السماء السادسة التي فيها موسى نزولا؛ لأنها بالنسبة إلى فوقية الله الذي هو فوق السماوات نازلة.

يقرّون بحديث المعراج في فضائل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإذا جاء الإثبات لكون الله في السماء وأن الله عظّم الصلاة وأنها تميزت من بين شرائع الإسلام بأن الله فرضها بنفسه ليلة المعراج وخاطب بها النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرة...

طيب، اكتفيتم بهذا؟

الأمر الأجلّ الأعظم هو أن الله في العلوّ.

قالوا: لا، ليس معنى ذلك أن الله في العلوّ، إذن لماذا صعد به إلى السماوات وأخبر أنه ارتفع به إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، أقلام الملائكة التي تكتب، وكلّمه الله -عز وجل- تعظيما لأمر الصلاة.

تأخذ أحكام الصلاة، تأخذ دلالة العروج على عظم قدر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا تأخذ منها أن الله في السماء؟

إذن هذا الآن التفاوت الذي يجعل الحيرة تعمهم، هو هذا، النص الواحد يأخذ دلالة منه ويترك أخرى.

إذن فلا شك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ بأنواع من البلاغ -صلوات الله وسلامه عليه-، وقد قال تعالى ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ما نُزّل إليهم في عقيدتهم وفي أحكامهم مطلوبٌ منك أن تبينه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

لما نزلت هذه الآية صرف النبي -صلى الله عليه وسلم- الحرَس، وكان يُحرس أول ما أتى المدينة فتولى الله تعالى عصمته -عز اسمه-.

وبلّغ البلاغ المبين -صلوات الله وسلامه عليه-.

لذلك قال: معلوم أنه -عليه الصلاة والسلام- بلغ الرسالة كما أُمر ولم يكتم منها شيئا، فإن كتمان ما أنزل الله يناقض موجَب الرسالة، لو كان قد كتم شيئا من هذه الأحكام او الاعتقادات لكان هذا مناقضا لأصل الرسالة، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النحل: ٣٥] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]

إذن ما الذي عليه؟ عليه البلاغ.

فبلّغ -عليه الصلاة والسلام- دين الله كاملا.

قال: ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان -عليه الصلاة والسلام-، لا يمكن أن يكتم -عليه صلوات الله وسلامه- أي شيء؛ لأن الكتمان كما قال تعالى ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] قلنا: عدم الشهادة بالبلاغ يقدح في الرسالة مباشرة، لو قال إنه رسول حق لكن ما بلغ يقدح في رسالته بنص القرآن

﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]

ثم قال: وقد أخبر أنه قد أكمل الدين وإنما كمل بما بلغه، فلو لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بلغ الدين تبليغا كاملا لم يكمل الدين، ولقيل إن فيه نقصا.

إذن عندنا تلازم بين الإبلاغ والكمال، فهو كامل لأنه قد بلغ، ولو أنه لم يبلغ لما كان كاملا.

قال: فعُلم أنه بلّغ جميع الدين، وإذا قلنا جميع الدين يعني عقيدة وشريعة كاملة.

وأورد الأحاديث التي فيها قوله -صلى الله عليه وسلم- «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها» فلو لم تكن أمور الاعتقاد واضحة لما كانت على البيضاء ليلها كنهارها، ولكانت مدلهمة مظلمة ما نعرف ما الذي يجب لله وما الذي يمتنع أن يفعله الله وما الصفات التي تثبت لله وما الصفات التي تنفى عنه.

فلو لم يكن بلغَ البلاغ المبين لم نكن على مثل بيضاء ليلها كنهارها، وقال: «ما تركتُ من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به»

وقال أبو ذر -رضي الله عنه- (لقد تركنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما طائر يقلّب جناحه في السماء إلا أفادنا منه علما)

يعني مما نحتاج أن نعلمه هذا المعنى.

فيأتي -عليه الصلاة والسلام- ليخبرنا بكل شيء حتى أن يخبر بما نحتاج إليه في أمر الطيور ثم لا يخبرنا بما ينبغي أن نعتقده في الله وما الذي لا ينبغي أن نعتقده فيه تعالى؟

إذن الأمر كما ترى، يمكن أن نعبر عنه بأنه تطويق للمبتدعة، الشيخ الآن كأنه يطوّقهم تطويقا يأتيهم من جهة كمال الدين ومن جهة تبليغه، وبما أنكم أنتم الآن تخالفون هذه النصوص ما النتيجة؟ النتيجة هي ما سيقرأها...

نعم

إذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه [في نسخة: ينقلون عنه] ما في ذلك من العلم والعمل، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي :لقد حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ،قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

وقد أقام عبد الله بن عمر وهو من أصغر الصحابة في تعلم البقرة ثماني سنين؛ لأجل الفهم والمعرفة.

هذه النتيجة لما تقدم، الكلام على البلاغ وكمال هذا الدين إذا تبين فما الذي يجب عليك أنت أيها المسلم؟ تصديقه فيما أخبر بها عنه الله -عز وجل- من أسمائه وصفاته وغير ذلك مما جاء في كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- وهو الذي كان عليه حال السابقين الأولين -رضي الله عنهم- الذين قال الله فيهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ [التوبة: ١٠٠] هذا حال السابقين الأولين، أنهم -رضي الله عنهم- كانوا يصدقونه في ما أخبر به عن الله في أسمائه وصفاته، وكذا الذين اتبعوهم بإحسان من بعدهم، فإن هؤلاء -يعني السابقين الأولين- هم الذين تلقوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن والسنة وكانوا ينقلون لمن بعدهم ما فيهما من العلم والعمل، العلم هو الاعتقاد والأمور التي تعتقد بالقلب

وعلم الأحكام، عِلمُ أن الله أحل كذا وحرم كذا وأوجب كذا، هذا علم، والعمل هو التطبيق، فكانوا -رضي الله عنهم- يعلمون الأمة من بعدهم الأمرين، يُعلمونهم العلم والعمل.

وذكر قول أبي عبد الرحمن السلمي -رحمه الله تعالى- -وهو القارئ المعروف- قالوا إنه بقي يِقرئ القرآن خمسين أو سبعين سنة -رضي الله عنه- لأجل حديثٍ رواه، وهو قول النبي -عليه الصلاة والسلام- «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» قال: فهذا الذي أقعدني هذا المقعد، يعني يُطبقون، سمعوا الأحاديث والنصوص وطبقوها -رضي الله عنهم-.

يقول لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن، الذين تلقينا عنهم القرآن، عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أجمعين، قال كعثمان وابن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.

العمل التطبيق، والعلم العلم، من ضمنه أمور الاعتقاد، فكانوا يتعلمون من النبي -صلى الله عليه وسلم- العلم والعمل، يعني الشريعة والعقيدة، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، وهذا هو التعليم الصحيح أن الإنسان إذا تعلم العلم يطبقه فيكون دِربة له، كلما أتاه حكم من الأحكام طبقه، كلما علم بأمر محرّم تركَه، فتكون حياته كحياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التطبيق، قالت عائشة -رضي الله عنها- لما سُئلت عن خُلقه -عليه الصلاة والسلام- قالت: ألست تقرأ القرآن؟ كان خلقه القرآن.

فيتعلم طالب العلمِ العلمَ ويطبقه مباشرة، كما كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يفعلون.

قال: وقد أقام ابن عمر -رضي الله عنهما- وهو من أصغر الصحابة -رضي الله عنهم- يعني فعل هذا أصغر الصحابة فمن باب أولى أن يفعله كبارهم، أقام في تعلم البقرة ثماني سنين، والبقرة ما الذي فيها؟ فيها العقيدة وفيها الشريعة، فاستمر يتعلم فيها ثماني سنين -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يتعلم ما فيها، لأجل ماذا؟ لأجل الفهم والمعرفة، لأجل أن يعرف ويفهم وتتبين له معاني النصوص، مع أنه عربي بالسليقة، يعني يفهم

مباشرة لا يحتاج أن يأخذ تفسيرا ويقرأ فيه، إنما قد تأتي بعض النصوص التي يرجع فيها إلى أكابر الصحابة ليبينوا معانيها أو سبب نزولها، أما النظم العربي فابن عمر يعرفه، ومع ذلك بقي فيها ثماني سنين.

نعم

وهذا معلوم من وجوه:

الوجه الأول أن العادة المُطّردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فإنه لا بد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرأوا كتاب الله المنزل إليهم ،وبه هداهم الله وبه عرَّفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغيّ، فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات، بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه، فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلِّغ عنه، بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تعريفهم معاني القرآن العظيم أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تُحصّل المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

شيخ الإسلام كثيرا ما يذكر الوجوه، فتفطّن لهذا الموضوع، يعطينا عدة وجوه والوجه الواحد يتضمن بعض الأحيان عدة مسائل متفرعة داخل الوجه الواحد.

لما قرر شيخ الإسلام هذا ،وأن الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- على أتم ما يكونون من تصديق رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وأنهم كانوا يتلقون عنه القرآن كل عشر آيات يتعلمون ما فيها من العلم والعمل، وأنهم كانوا حريصين على الفهم والمعرفة، قال: هذا معلوم من وجوه، أن الله جبل العباد على اعتنائهم بالقرآن المنزل لفظا ومعنى فكانوا حريصين جدا، المصدق لكون محمد -صلى الله عليه وسلم- رسولا من

عند الله، والمصـــدق لكون النازل عليه كلام الله يكون على أشـــدّ ما يكون من الرغبة في معرفة هذا الذي نزل على محمد -عليه الصلاة والسلام- فهمًا وحفظًا.

يقول: بل اعتناؤهم بالمعنى أوكد.

يعني عنايتهم بفهم ما يريد الله منهم كأن يأمرهم بإقام الصلاة ويأمرهم ببر الوالدين، ويأمرهم بصلة الأرحام، ينهاهم عن الفواحش، عن الزنا، تكون عنايتهم في الأســـاس في المقام الأول أن يفهموا حتى يطبقوا، لأن الإنســـان قد يتأخر في الحفظ، يعني حتى يحفظ قد يتأخر في الحفظ، فتكون عنايتهم ابتداءً أن يطبقوا كلام الله الذي نزل، ولهذا قال: يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد عُلم أنه من قرأ كتابا في أي علم من العلوم الدنيوية والدينية، الطب الحساب النحو الفقه، فإنه يكون راغبا في فهمه.

ماذا تريد عندما تقرأ كتابا من الكتب؟ تريد أن تفهمه وأن تعرف معانيه، فكيف بمن قرأ كتاب الله المنزل عليه الذي به يهدي الله تعالى من يشاء؟

رغبتهم في فهمه أعظم الرغبات -عليهم الرضوان- هذا من جانبهم هم.

ومعلوم أن رغبة الرســـول -صـــلى الله عليه وســـلم- المبلّغ عن الله في تفهيمهم وتعريفهم أعظم من رغبته في تعريفهم بحروفه.

المهم والأساس الأكبر عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يطبَّق القرآن الذي نزل، فإذا طبقوا القرآن فإن حفظوا فيا حبذا، أمر طيب، وإن لم يحفظوه فســـيبقي الله حفظه، لأن الله تكفل بحفظه، يكون أُبَيّ يكون عثمان، يكون علي، يكون هؤلاء.. سيحفظون، لكن الأساس في عموم الأمة أن تطبّق، فيعرف المسلم..

يعني لو قيل لبعض المســـلمين العامة: أنت الآن تطبق حكما من الأحكام مثل صـــوم رمضـــان، هل تعرف دليله؟ قال لا، لكني أجزم أن الله تعالى أنزل حكمه في كتابه وأن الأمة اتفقت عليه، فأنا أصـــوم وإن لم أحفظ الآية الواردة فيه، لأن الأهم أن أصـــوم فيما يتعلق بهذا الحكم والأهم أن أصـــلي والأهم أن أتوضـــأ وإن لم أعرف آية المائدة ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] معظم المسلمين لا يحفظون الآية، معظم الأمة، العامة لا يحفظونها، ولكنهم يطبقونها.

إذن مُراد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهدفه الأكبر أن يُفهم النص النازل من الله تعالى حتى يطبق، ولهذا قال: من المعلوم أن رغبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تُحَصل المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

نعم

الوجه الثاني أن الله قد حضهم على تدبّره وتعقُّله واتباعه في غير موضع، كما قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقال تعالى ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]

فإذا كان قد حضَ الكفار والمنافقين على تدبّره: عُلم أن معانيه مما يمكن الكفارَ والمنافقين فهمِها ومعرفتها فكيف لا يكون ذلك ممكنًا للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفةً بيّنةً لهم.

هذا الوجه العظيم، الوجه الثاني، قد حضّ الله على التدبّر ومدح المتدبّرين -سبحانه وتعالى-، وأخبر أنه أنزل القرآن ليُتدبّر، وذم الله تعالى ذوي القلوب المقفلة فقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]

فيقرؤون الآيات ويخالفونها، ولا يتفطنون أنهم خالفوا، لأنهم ما تدبروا، فلأجل ذلك حضّ الله على التدبر وتفهُّم المعاني فقال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] فبيّن أن المراد أن تتدبر وأن تتفهم هذه الآيات، وقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] هذا فيه ذمٌ لذوي القلوب المقفلة الذين لا يتدبرون القرآن.

وقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] الآية موجهة لمن؟ للكفار، لاحظوا الآية موجهة للكفار، لأنهم قالوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] بناء عليه فإنهم لا يتدبرون هذا القول.

فعُلم أنه يمكن ان يتدبر الكافر القرآن ويفهمه، فكيف بالمؤمن؟ وهكذا المنافق لو أنه أقبل على القرآن وتفهم وأراد الفهم وتدبره لانتفع به، ولأجل ذلك لما نزل القرآن كان الناس على دين آبائهم، فآمن بهذا القرآن العظيم من أراد الله تعالى سعادته، وكانوا كفارا قبل ذلك، فتدبروا القرآن وصار الواحد منه إذا سمع الآيات من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسلم مكانه وعلم أنه كلام الله، لماذا يسلم؟ لأنه يفهم، ففهِم.

إذن إشكالنا أيها الإخوة مع فرق الضلال هذه من المتكلمين وغيرهم وهذا الذي ساق الكلام هنا أنهم يقولون إن هذه النصوص لا تدل على الاعتقاد الذي يقرره أهل السنة، وأن الاهتداء لا يكون من نفس النصوص وإنما بالموازين التي يسمونها الموازين العقلية، فيقول شيخ الإسلام: الله تعالى أخبر أن الخطاب وُجّه للكفار ليتدبروا فكيف بالمؤمنين؟

ولهذا قال: فإذا كان ورد قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فإذا كان الله قد حضّ الكفار والمنافقين على التدبر، عُلم أن معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمُها، قطعا لأنهم أهل لغة ويعرفون الألفاظ ومدلولها، فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين؟ وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بيّنة.

نعم

الوجه الثالث أنه قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] فبيّن أنه أنزله عربيا لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه.

نعم أنزل الله القرآن عربيا بلغتهم، غير ذي عوج، لعلكم: أي لأجل أن تعقلوا أي أن تفهموا.

فعُلم أنه من جهة النظم العربي إذا قرأه من يعرف العربية أو تعلمها من غير أهلها أنه يَفهم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وفي الآية الأخرى ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]

وأوردنا الآية ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]

واضح ما هو بأعوج ولله الحمد.

فبيّن أنه يُعقل ويُفهم ولذلك قال مالك: الاستواء معلوم.

مفهوم، كما قال تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] يعني لعلكم تفهمون، فعُلم أن الاستواء بمعناه الوارد في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأنزل بالنظم العربي أنه معقول ومفهوم، فلذلك قال مالك: الاستواء معلوم.

لأن القرآن معلوم ومعقول ومفهوم لمن تدبره وعرفه، ولهذا قال: والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه.

هل يمكن أن تتعقل شيئا وأنت لم تفهم المعنى؟

يعني لو أنك أخذت حروف لغة لا تعرفها من اللغات وصرت تقرأها ونطقت بها النطق المطابق لنطق أهل تلك اللغة، ما تستفيد، لأنك تقول أنا أنطق وأعرف هذه الأحرف لكني ما أدري ما قلت.

أما هؤلاء -رضـي الله عنهم- فهم أهل اللغة الذين نزلت عليهم وأنزل الله تعالى القرآن ليتعقلوه، ومعلوم أنه لا يمكن أن تتعقل شيئا حتى تفهمه، أما أن تتعقله وأنت ما فهمته، هذا أمر محال.

نعم

الوجه الرابع أنه ذم من لا يفهمه فقال تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] وقال تعالى ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]

فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضـًا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.

هذا الوجه الرابع -انتبه- غير مناقض للوجه السابق.

هل الكفار يفهمون المعاني؟ يفهمونها، طيب هنا الآيات فيها بيان أنهم يحجبون عن فهمها، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

وهذا كثير في القرآن، أن الله تبارك وتعالى يعاقبهم بعدم الفهم لأنهم لما صدوا عنه وقابلوا الرسل مباشرة برد ما قالوا: طبَع الله على قلوبهم، لكن أول ما نزل عليهم لا شك أنه مفهوم، ولذلك انظر مثلا أجوبة الكفار تدل على أنهم فهموا التوحيد أو لم يفهموه؟

تدل على أنهم فهموه.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] بماذا ردوا عليه؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]

أليس هذا معنى لا إله الا الله؟ هذا معنى لا إله إلا الله، أن يُعبد الله وأن تُترك المعبودات من دونه.

إذن فهم فهموه، وقال الله -عز وجل- في شأن نبي الله -عليه الصلاة والسلام- وبين أن الكفار قد فهموا المعنى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] فدل على أنهم فهموا معنى لا إله إلا الله، وردّوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد علمٍ بالذي يريد، فعاقبهم الله بالمذكور في كتابه بالختم والطبع على قلوبهم، فصاروا لا يفقهون، ولذلك بيّن تعالى أنهم لا يعقلون لا يفهمون في مواضع أخرى.

إذن من حيث فهمهم للمعنى أول ما يرِدُ عليهم لا شك أنهم يفهمونه، ولهذا قامت عليهم الحجة، أما لو كانوا لا يفهمونه لأن المعاني غير معلومة نهائيا لما قامت الحجة، ولهذا ماذا قال الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] فلو كان أعجميا لقالوا أأعجمي وعربي كيف نفهم؟

لكنه لسان عربي واضح، ولهذا ما يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه، لماذا؟ قال: ليبين لهم.

إذ تبيّن لهم ردّوه فعاقبهم الله بالطبع على قلوبهم فصاروا يقولون ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦]

فطبع الله على قلوبهم.

إذن فهم ابتداءً قد فهموا، فلما ردّوا عاقبهم الله.

وأعظم أنواع عقوبات الله على الإطلاق هي العقوبة في الدين -نسأل الله العافية والسلامة- لا عقوبة أشد من عقوبة العبد في دينه، أن يفقد الأمن أن يفقد المال أن يفقد الصحة كل هذا ليس بشيء أمام عقوبة الدين ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

ثم إن الله -عز وجل- جعل عاقبة السوء لهم أن كذبوا بآيات الله فيعاقبهم الله بأن يزيغ قلوبهم ويعاقبهم وتكون العقوبة في الدين، وإذا ردت أن تتأمل ذلك انظر -عافاني الله وإياك- في مَن كان على هدى وعلى استقامة ثم لحِق بأهل الكفر، كيف يكون حاله؟ أنت تزور مرضى وتعرف أناسا كانوا أغنياء فافتقروا وكانوا أصحاء فمرضوا وكانوا آمنين فخافوا وشُردوا لكن الواحد منهم يقول: بيني وبين هذه الدنيا أن تخرج روحي، والرجاء في نعيم الله -عز وجل- الذي لا ينقطع بعد ذلك.

أما أولئك فهم في عذاب مستديم في الدنيا يحرقهم حرقا داخل أجسادهم ولو تنعموا بأنواع النعيم في الدنيا ثم هم في الآخرة في أشد ما يكونون من العذاب في جهنم وبئس المصير.

إذن قد يزيغ الله القلوب بعد أن علمت -عياذا بالله- فتزل القدم بعد ثبوتها فيكون قد علم الحق لكنه زل عنه بعد أن عرفه، فهذه أنواع من العقوبات.

إذن هذا الوجه لا يخالف الوجه السابق في الكفار، وهي موجودة الآيات في القرآن هذه وهذه.

الدّالة على أنّهم فهموا ثم الآيات الدّالة على أنّه طُبع على قلوبهم فلم يفهموا.

ولهذا قال: إن الله ذمّ من لم يفهموا، وليس في هذا ذمّ للعامي الذي لا يفهم، لأنّ العامي الذي لا يفهم يتطلع للفهم ويسأل عنه، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وهذا فرضه، لكن هؤلاء ممن طبع الله تعالى على قلوبهم، ولهذا قال ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]

هذه العقوبات التي أتتهم في دينهم وقال تعالى ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] كل هذا ذمٌّ للكفار على عدم فقههم وفهمهم.

يقول الشيخ: فلو كان المؤمنون لا يفقهونه يعني كما يقرر المتكلمون أن السلف كالأميين يقرأون القرآن للأجر والبركة لكن معانيه لا يعرفونها، إنما يعرفُ معانيه من يسمّون أنفسهم بأن مذهبهم هو مذهب أعلم وأحكم، وأولئك مذهبهم -مذهب السلف- أسلم، يقول شيخ الإسلام فجعلوا السلف بمنزلة الأمّيين الصالحين من عوام المسلمين الذين يقرأون القرآن ولا يفهمون معانيه، وهذا فيه حط من قدر السلف على أبشع ما يكون من الحط من قدرهم -رضي الله عنهم-.

يقول: فلو كان المؤمنون لا يفقهونه لكانوا مشـــاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله به، لأن الكفار لا يفقهونه، طَبعًا وختمًا على قلوبهم، فلو كان المؤمن يقول أيضـــا: أنا لا أفهم، لقيل: ما الفرق بين المؤمن والكافر والمنافق؟ كلهم لا يفهمون، فهذا الوجه أيضا من الوجوه التي يطوقهم بها شيخ الإسلام ليبين بطلان ما يقررونه فيه.

نعم

الوجه الخامس:

أنه ذمَّ من لم يكن حظه من الســماع إلا ســماع الصــوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وقال تعالى ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وقال تعالى ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦] وأمثال ذلك، وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يفهموا وقالوا: ماذا قال آنفا، أي الساعة، وهذا كلام من لم يفقه قوله فقال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦]

فمن جعل الســابقين الأولين من المهاجرين والأنصــار والتابعين لهم بإحســان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله عليه.

هذا الوجه الخامس، قريب من الوجه السابق.

الله تعالى ذَمّ من لم يكن نصيبه وحظه إذا هو سمع هذه الآيات إلا مجرد سماع القراءة دون أن يفهمها فقال تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١] ما هو الشــيء الذي

يُنعق به ولا يسمع إلا الدعاء والنداء؟ هي البهائم، الراعي ينعق بها يصيح بها وهي لا تدري ماذا يقول الراعي تحديدا لكنها سمعت الصوت، فذمّ الله هؤلاء، جعلهم بمنزلة البهائم.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]

طيب ماذا قال الله في الآية الأولى ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] وهنا بيّن تعالى أن الكفار لا يعقلون، يقول شيخ الإسلام كيف تجعلون المؤمنين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كهؤلاء الذين لا يعقلون حين تقولون إن مذهبهم مذهب سلامة وليس مذهب علم وحكمة وفهم للنصوص؟ هذا مراده.

يقول: وقال تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]

وقال الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥] ما قال: من يسمعك قال: يستمع، يعني تكلف الاستماع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [محمد: ١٦] الذين يفقهون ويعلمون ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦] يعني ماذا قال الساعة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]

طُبع على قلوبهم طبعا فصاروا لا يفقهون.

وأمثال ذلك، يعني من الآيات الدالة عليه.

وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورأوا وجهه الكريم -عليه الصلاة والسلام- وجلسوا في المجلس الذي هو فيه وحضروا في المسجد الذي يخطب فيه فما زادهم ذلك من الله إلا بُعدا -نسأل الله السلامة والعافية-.

هكذا الحظوظ العاثرة، الحظوظ الهزيلة الضعيفة، أن يلقى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يكون تابعا له ولا يشرف بصحبته -عليه الصلاة والسلام- ولهذا قال إن هؤلاء المنافقين كانوا يسمعون صوته -

عليه الصلاة والسلام- ولم يفهموا، ولهذا قالوا ماذا قال آنفا، وهذا كلام من لم يفقه، فقال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦]

ثم وصل إلى النتيجة التي يريد من كل هذا الكلام:

فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين.

لاحظ -سبحان الله- شيخ الإسلام طريقته -رحمه الله تعالى- فيها جانب نفسي، بعد أن يبيّن الحق ويوضّحه يجعل الخصم في حال من التذبذب والتراجع الشديد، طريقة شيخ الإسلام الآن في هذا العرض تجعل الخصم يقول: أي عقل أن أجعل أنا أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وانا أقول: هم أفضل الأمة أجعلهم بمنزلة الكفار ومنافقين كيف يكون هذا؟

باعتقادك الفاسد، ثم إذا جئت في باب الصحابة قلت أفضل الأمة بعد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

عندك الآن إذن تذبذب، فأنت تقول: هم أفضل الأمة، لكن في العلم والحكمة لا، تعالوا لنا نحن.

ولهذا أقول: هناك جانب نفسي، وهذه الجوانب ينبغي أن يلحظها طالب العلم في الجوانب النفسية عندما يكلم الأشخاص الذين عندهم شيء من الزيغ.

ملاحظة الجانب النفسي هذا ليوضح له أن هذا هو مذهبك وأن هذا هو الذي يؤديك إليه، فاختر هذا المذهب الفاسد ثباتا عليه، أو اتق الله وارجع عنه، وهي طريقة شيخ الإسلام وطريقة ابن القيم -رحمه الله- وطريقة أئمة الإسلام، وهي مناسبة جدا سواء في عرض الحق مثل ما ترى الآن أو في المناظرات.

في المناظرات والمناقشات هي مناسبة جداً بحيث تحشر الذي عنده هذا الإشكال بهذه الطريقة، تقول: هذا الآن مفاد كلامك وأنت الآن تقول في باب الصحابة -رضي الله عنهم- كلاماً أحسن الكلام، وتأتي

بالنصوص الدالة على أنهم أفضل الأمة، ثم إذا أتيت في باب الأخذ عن الصحابة وإذا بك تجعلهم في أسوأ المراحل، فعندك الآن تذبذب.

ولهذا يأتي عند المتكلمين، لا يسلم متكلم من هذا ولو قال إني أسلم منه لما كان صادقا، إلا إذا كان في بداية الكلام يرتضع كما يرتضع الصبي ما يدري، إذا بلغ المتكلم القمة والنهاية في الكلام علم أنه سراب ليس وراءه شيء، ولهذا كلهم يرجعون إلى ما عليه عوامّ المسلمين، فيقول أحدهم كالجويني: أموت على عقيدة أمي، أموت على عقيدة عجائز نيسابور، يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو علمت أنه يوصلني إلى ما أوصلني إليه ما اشتغلت به.

ويقول الرازي في آخر كتاب من كتبه أنواع اللذات: لقد تأملت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن، هذا في آخر عمره، اكتشف هذا.. هل يعقل أصلا أن تكون هناك طريقة أفضل من طريقة القرآن؟

ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]

هذا اعتقاد أهل السنة، وصل إليه في آخر عمره.

ثم قال: ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

لكن الذي لا يزال يرتضع في علم الكلام مثل بعض الموجودين الآن في القنوات وفي غيرها، لا تزال ترتضع لا تزال صبيا صغيرا.

إن وصلت إلى ما وصل إليه الرازي والجويني والغزالي والخسروشاهي والشهرستاني رجعت كما رجعوا، لا بد أن ترجع، أما ما دمت مُقحما نفسك فأنت طائش في هذه الطريق، ولهذا سبحان الله كل النُظار الأقوياء من المتكلمين قديما وحديثا يرجعون أو يحارون حيرة، ونعرف أحدهم لأنني أنا ما أعرف أحد من

المتكلمين قابلته.. ما أريد أن أسمّيه فقد لقي الله، رجل مصري كان الدكاترة الموجودون عندنا من الأشعرية هم بمثابة التلاميذ عنده، وكان قد عرف الكلام والفلسفة معرفة دقيقة جداً، وخبَرتُه أنا وزاملته سنوات.

ففي إشـرافه على بحث أحد زملائنا نقل المقالات التي قلتها الآن قبل قليل عن الرازي والجويني وأنهم حاروا وأنهم تصيبهم الحيرة، فكتب -وموجودة كتابته إلى الآن- قال: وَنَحْنُ وَاللهِ حَائِرُونَ كَمَا حَارُوا.

دائما الشـخص الذي يعرف الكلام ويصـل إلى نهايته يعرف أنه سـراب ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]

إذا رجع وإذا بشباب أهل السنة الذين في العشرين وفي الخامسة والعشرين قد تعلموا العلوم وقرأوا النصوص وإذا به مثل العامي.

يقول شيخ الإسلام: فيعودون كالأعراب وعامة المسلمين تابعين للعلماء، هذا في آخر أعمارهم.

ولذا الغزالي لما مات ما كتاب الذي وجدوه على صدره؟ صحيح البخاري.

صحيح البخاري يأخذه الإنسان في آخر عمره؟ آخر حياة الإنسان يقرأ صحيح البخاري؟ لا.

صحيح البخاري نعم ليس هو أول ما تقرأ، لأن العلم يتدرج، لكن صحيح البخاري في نصوص الأحكام وفي نصوص الاعتقاد، فمات والبخاري على صدره، بدأ يقرأ صحيح البخاري في آخر حياته.

ولهذا يقول الغزالي نفسـه: أكثر الناس شـكا عند الموت أهل الكلام، عند الموت، نعوذ بالله من خاتمة السوء.

هذه التقريرات هي التي يرد عليها شيخ الاسلام

ولهذا الجويني في كتابه الأصـولي، لما ذكر الصـحابة -رضـي الله عنهم- وأنهم لم يخوضـوا في بعض دقائق العلم كما قال، قال: كأنهم علموا أن الله سيأتي بعدهم بأناس ذوي باع واسع يخوضون في هذه الأمور.

تأمل هذا الكلام الخطير، يقول لماذا لم يخُض الصـحابة -رضـي الله عنهم- في تفاصـيل ما خاض فيه المتكلمون يقول: كأنهم عرفوا أن هذه الأمور -يعني باختصار- سيأتي أناس أعلم منهم.

ثم في آخر كتبه قال: ومن عرف حال القوم علم أنهم أعلم الناس وأنهم لم يتركوا هذه المسائل عن عي وعجز وإنما تركوها -لكلام معناه- أن الخوض فيها ليس هو الصواب، والصواب ترك الخوض، وأنهم لم يتركوها عن عيّ وعجز.

هذا ذكره في آخر كتبه، أما في البدايات يقول يعني لعلهم علموا أنه سيأتي أناس ممن آتاهم الله فهمًا وعلمًا وإدراكًا، يعني أكثر من إدراكهم، فتركوها ليخوض فيها هؤلاء، يقصد المتكلمين.

ثم رجع عن هذا وقال ما قال.

إذن هذه الأمور الخطيرة التي تجعل السابقين الأولين بمثابة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وإنما يعرفُ المعاني العظيمة واللائق بالله هؤلاء المتكلمون المتكلفون الخائضون فيما لا يحل الخوض فيه، والرادون للنصوص الجلية الواضحة، فبلغوا بها أشد المبالغ في الجهل، يقول شيخ الإسلام في نهاية كلامه: من جعل السابقين الأولين غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين الذين ذمهم الله بعدم فهم القرآن.

لذا قلت إنه يوجد جانب نفسي في كلام شيخ الإسلام، يركز تركيزا شديدا على هزّ هذا الشخص الذي لم يفقه ولم يعرف حقيقة السلف ومقدارهم من العلم.

نعم

الوجه السادس: أن الصحابة -رضي الله عنهم- فسروا للتابعين القرآن.

هذا الوجه يمكن أن نقول إنه أقوى الوجوه.

لماذا؟ لأنهم الآن يقول إن السلفَ لم يفسروا وأنهم فوضوا المعاني وأنهم لا يخوضون في المعاني، فنقول تعال، عندنا لك الآن تفسير ابن أبي حاتم وتفسير الطبري من الفاتحة الى الناس بدءًا من قول الله -عز وجل-

الحمد لله بمَ فسّر ابن عباس هذا الاسم، الرحمن الرحيم، بمَ فسّر ابن عباس الرحمن الرحيم، إلى سورة الناس.

وكتب التفاسير المسندة وكتب الاعتقاد المسندة نقلت تفاسير الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- لمعاني أسماء الله وصفاته، فأنتم تقولون إنهم لم يفسروا لسبب يسير جدا، وهو أنكم لا تعرفون النصوص، أنتم لا تعرفون النصوص ولم تقفوا على الآثار، يقول شيخ الإسلام: إن الواحد منهم لا يعرفُ البخاري إلا بالسماع، أنه يوجد كتاب اسمه صحيح البخاري.

وأعطاك مثلا عليه، نهاية المطلب للجويني يقول أفنى فيه عمره، ماذا فعل الجويني لأنه ما يعرف مناهج المحدثين، ركّز على كتاب الغرائب للدارقطني، طيب كتاب الغرائب للدارقطني ماذا يريد به الدارقطني؟ هل يريد به الأحاديث الصحيحة أو الغريبة؟ الغريبة، ركز على الغريبة وصار يبني كتابه على الغريبة.

الذي يريد أن يبحث عن أدلة الأحكام يبحث عنها في الكتب الصحيحة، ولذا من لطيف ما قالوا، ذكره السيوطي في تدريب الراوي، أن رجلا أورد حديثا فلما أورده قيل له هذا الحديث في أي كتاب؟

قال هذا في كتاب اسمه الموضوعات لابن الجوزي.

فانظر إلى من لا يعرف مناهج المحدثين ومناهج المؤلفين يأخذ أي كتاب، ففتح كتاب ابن الجوزي الموضوعات واستدل منه بحديث، لماذا؟ لأن لا يدري ما معنى كلمة الموضوع، الموضوع هو المكذوب.

فكذلك حال هؤلاء القوم، لا يدرون بتفاسير الصحابة ولا يدرون بالمصنفات الواردة التي نقلت تفاسير الصحابة -رضي الله عنهم- ولذلك يقولون: إن الصحابة فوضوا المعنى، طيب فوضوا المعنى يعني ما فسروا الاستواء؟ قال لا، لا يخوضون فيها.

الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون فسّروا الاستواء وفسروا اسم الرحمن وفسروا الرحمة وفسروا الصفات تدري أم ما تدري؟ ما يدري.

إذن هذا الوجه هو أقوى الوجوه، صحيح أن الوجوه الأولى أقوى من حيث الاعتقاد، لكن هذا من حيث إلجام المتكلم، يأتيك شخص يقول الصحابة ما فسروا فتقول بل فسروا لكنك أنت جهلت تفسيرهم، حينها ينقطع.

عندنا يا إخوة في النقاشات نوعان، الرد والقطع.

ما معنى الرد والقطع؟ ابن سريج كان يناظر ابن أبي داود -رحمهما الله جميعا- في مسألة، فقال: أقطعك أو أرد عليك؟

ما معنى أقطعك؟ تأتي أنت بحديث موضوع، كيف أقطعك؟ أقول: الحديث مكذوب، خلاص، قطعتك انتهى النقاش.

أما أرد عليك: أقول لك: هذا الحديث على فرض صحته وأجاريك على أنه صحيح لا يدل على ما دللت عليه وفهمك له خاطئ، انتهيت؟ الآن سأقطعك، الحديث موضوع.

يعني تارة يقطعه وتارة يرد عليه، وتارة يجمع الرد والقطع، هذا يقطعه.

شخص يقول: الصحابة ما فسروا فتقول بل فسروا يقول فسّروا أين؟ أقول هذه الكتب هذا ابن أبي حاتم وهذا الطبري وهذه الكتب التي روت تفاسيرهم، وهناك كتب الاعتقاد المسندة اللالكائي، الآجُرّي، ابن بطة، وأجمعها له وأقول: أنا عندي لك الآن هذه المجموعة، رقم الآثار من واحد إلى كذا، كل هذه تفاسير جمعتها لك، فسروا أو لم يفسروا؟ يقول بل فسروا، قطعتك؟ إذن انتهى الكلام.

الوجوه الأخرى رد، لكن هذا الوجه يتميز بأنه قطع.

مثل شخص يقول لك: فلان لم يأتِ اليوم لم يأتِ، تقول: ها هو انظر إليه، ينقطع، هذا معنى القطع، يعني ينقطع الذي تناظره بأنه لا يستطيع أن يُحير جوابا.

أما الوجوه الأخرى فإنك ترد بها وتُبيّن ما عنده من ضلال لكنه ما انقطع، أما هذا فيقطعهم، لأنهم يقولون إن الصحابة ما فسّروا والسلف ما فسّروا، فتقول بل فسّروا وهذه تفاسيرهم.

نعم

كما قال مجاهد: عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره أوقفه عند كل آية منه فأسأله عنها.

أوقفه عند كل آية منه، من ضمنها آيات العقيدة أم لا لا؟ من ضمنها آيات الصفات. عرضت القرآن من أوله الى آخره، فهذا مجاهد الذي قالوا: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وهذا ابن عباس الذي قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين» فسر لمجاهد القرآن من أوله الى آخره، يوقفه مجاهد عند كل آية.

إذا جاءت آيات الصفات تركها أم فسرها؟ فسرها.

إذن فهم فسروا جميع الآيات.

نعم

ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وكان ابن مسعود يقول: لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته.

طيب ابن مسعود كيف يقول هذا؟ أليس أبو بكر أعلم منه؟

يقصد بعد أبي بكر وعمر، ابن مسعود يعلم أن أبا بكر وعمر أعلم منه، لكن ماذا يقول؟ يقول لأصحابه مثل الأسود وعلقمة ويزيد وغيرهم، يقول لو أعلم يعني الآن.

ولهذا قال أنس -رضي الله عنه- لو حدثتكم حديثا لا يحدثكموه أحد بعدي، لماذا يا أنس؟

لأن أنسًا -رضي الله عنه- كان عمره في المائة لما توفي، توفي أكثر الصحابة، فبقي علمهم عند أنس. هذا معنى عباراتهم، وليس معنى عباراتهم أن الواحد منهم يقوي نفسه وأني أعلم.. لا.. لكن يقول هذا في وقت مات عدد كبير من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على رأسهم مثل أبي بكر وعمر، فالآن لا أعلم أحدا على وجه الأرض الآن أعلم مني، ولو أعلم لأتيته.

هذا دليل على أن الصحابة يعلمون المعاني أم لا يعلمون؟ يعلمون، وأن فيهم من هو أعلم من بعض، وهذا معنى كلام ابن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم...

نعم

وكل واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله، والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها.

عند أهل العلم فقط، لاحظتم؟

النقول عن ابن عباس و عن ابن مسعود برواية أصحابهم، والذي يعرف هذه النقول أهل العلم، أما المتكلمون فليسوا من أهل العلم ولا يعرفون هذه النصوص، ولذا يقولون: الصحابة ما فسروا، ولذا يقول هذه النصوص وهذه العبارات من ابن مسعود ومن ابن عباس -رضي الله عنهم أجمعين- يقول قد نقل هذه التفاسير عنهم تلاميذهم، ولذا جاء عن عمر -رضي الله عنه- أنه قيل له إن رجلا يفسر القرآن في العراق، يقول الراوي: فانتفخ من شدة الغيظ، فقال القائل: إنه ابن مسعود، قال ويحك سرّيت عني، ذاك كُنيف مُلئ علما، كُنيف يعني إناء، يستحق يستأهل.

ظن عمر أن أحدا جلس وصار يفسر القرآن، فغضب عمر -رضي الله عنه- جدا فنما قيل إنه ابن مسعود قال سريت عني يعني خففت عني، ابن مسعود يستحق، نعم ابن مسعود وأمثاله يستحقون، وذلك لعلم ابن مسعود بالقرآن.

إذن فهم قد علموا تلاميذهم التفاسير، تفاسير الآيات، وتفاسير الآيات موجودة الآن بالسند كما ذكرنا عنهم، فمقولة هؤلاء إن الصحابة ما فسروا مقولة جاهل بأقوال الصحابة.

نعم

فإن قال قائل: فقد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا، ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يختلفوا فيه.

فيقال: الاختلاف الثابت عن الصحابة بل عن أئمة التابعين في القرآن أكثره لا يخرج عن وجوه...

يقول: سيرد لك الراد فيقول لك: هم الآن اختلفوا، فإذا كانت هذه الأمور متلقاة عن الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكيف يختلفون فيها؟ الآن سيرد على هذه الشبهة من عدة وجوه، ما الفرق بين اختلاف ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين- وخلاف هؤلاء المتكلمين فيما بينهم؟

الاختلاف يا إخوة نوعان:

اختلاف تنوّع، فمثلاً ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فُسر بماذا؟ بأن الصراط المستقيم هو رسول الله، وفُسر بأنه القرآن.

طيب هل فيه إشكال؟ ما فيه إشكال، رسول الله صراط مستقيم والله أنزل عليه القرآن صراطا مستقيما، وكل هذا ما فيه إشكال، فهذا تعبير عن بعض المعنى ما فيه إشكال.

لكن لا يأتيك الإشكال إلا حين يأتي اختلاف تضاد هذا يقرر حقـًا وهذا يقرر باطلاً، هذا اختلاف التضاد.

إذن الاختلاف نوعان: اختلاف تنوع واختلاف تضـاد ومن اختلاف التنوع الذي أقره رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم- في وقته: اختلاف القراءات، فلما لبب عمر -رضي الله عنه- حكيم بن حزام بثيابه وجره لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما قرأ سورة الفرقان، قال أرسله يا عمر وأمر حكيما أن يقرأ فقال أصبت وقال لعمر: اقرأ، فقال أصبت، اختلاف تنوع.

وقال إن القرآن نزل على سـبعة أحرف، اختلاف تنوع، ولا يكون بين سـبعة أحرف تضـاد بحيث هذه الآية تحرم وهذه الآية توجب، معاذ الله لكن في نفس النظم، ولا يكون هذا اللفظ مخالفا للفظ الآخر.

إذن القول بأن الصـحابة -رضـي الله عنهم- وقع بينهم أو بين التابعين اختلاف ليس المقصـود أنه اختلاف تضاد بحيث يكون هذا يقول بقول يضلل به الآخر، ولكنه اختلاف تنوع كما سيأتي إن شاء الله.

نعم

أحدها أن يُعبِّر كلٌ منهم عن معنى الاسم بعبارةٍ غير عبارة صاحبه، فالمُسمَّى واحدٌ وكلُّ اسمٍ يدلُّ على معنى لا يدلُّ عليه الاسـم الآخر، مع أن كليهما حق، بمنزلة تسـمية الله تعالى بأسـمائه الحسـنى وتسـمية الرسـول -صـلى الله عليه وسـلم- بأسـمائه، وتسـمية القرآن العزيز بأسـمائه فقال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]

فإذا قيل: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، فهي كلها أسماء لمسمى واحد -سبحانه وتعالى-، وإن كان كل اسم يدل على نعت لله تعالى لا يدل عليه الاسم الآخر.

يقول مثل أسماء الله تعالى، هذا الأمر أصلا أشكل على المشركين لما سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: يا الله يا رحمن قالوا: يطلب منا أن ندعوا واحدا وهو يدعو اثنين.

فأنزل الله ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]

فالله تعالى هو الرحمن وهو الرحيم وهو الملك وهو العزيز وهو القدوس، فما في هذا تضاد، كلها أسماء حق لله تعالى، وإن كان اسم الرحمن غير اسم العزيز غير اسم الرؤوف غير اسم الجبار، يقينا هذا له معنى وهذا له معنى، لكن كلها أسماء لله تبارك وتعالى، سيعطيك الآن المثال عليها في تفسير السلف.

نعم

ومثال هذا التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم، فهذا يقول: هو الإسلام، وهذا يقول: هو القرآن، أي اتباع القرآن، وهذا يقول: السنة والجماعة، وهذا يقول: طريق العبودية، وهذا يقول: طاعة الله ورسوله، ومعلومٌ أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الأسماء كلها، ولكن كل منهم دل المخاطب على النعت الذي به يَعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك.

يقول كل واحد منهم دل السائل، فهل الآن الصراط المستقيم هو الإسلام أو هو القرآن، وهل هناك أصلا مميزة بين القرآن وبين الإسلام؟ القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى في دين الإسلام، وهكذا لو فُسّر بمحمد -صلى الله عليه وسلم- محمد -صلى الله عليه وسلم- دلّ الأمة بما أنزله الله تعالى عليه من القرآن على الإسلام، إذن هذا معنى أن هذا تنوع، هذا تنوع ليس فيه تضاد، الصراط المستقيم يصدق على كل هذه المعاني.

نعم

الوجه الثاني أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لا على سبيل الحصر والإحاطة.

دقّق في هذه الآن، هذه أخصّ من السابقة، أن يذكر من تفسير اسمٍ بعض أنواعه ولا يقصد الحصر لأن هذا الاسم هذا معناه فقط، ولكنه يعطي بيانًا لهذا الاسم ببعض أنواعه.

منه على سبيل المثال:

ما قال ابن عباس في الشرك: الشرك هو أخفى من دبيب النمل، وهو أن تقول والله وحياتك يا فلانة، لولا البط لأتانا اللصوص ولولا الكلاب لأتانا اللصوص.

الآن هذا معنى الشرك؟ أو هذا ذكر لبعض أنواعه؟

هذا المقصود.

طيب لماذا ابن عباس ما فسره بالطواف على القبور وسؤال أهلها من دون الله والذبح لهم؟ غير موجود في زمنه، ما في مسلم يفعل هذا أصلا لا يوجد مسلم يفعل هذا في زمن ابن عباس، لكن يوجد من يقول وحياتك ويوجد من يقول لولا البط أتانا اللصوص، فأراد أن يذكر لهم المعنى لكن هل هذا معنى الشرك؟ هذا الشرك الأصغر أصلا.

إذن فقد يفسرون اللفظ، كما ذكر لك هنا، أن يذكر من تفسير الاسم بعض أنواعه لا على سبيل الحصر والإحاطة، ولكن يبين للسائل.

يعني إنسان يأتيك من بلد يكثرون من قول: والنبي وما عنده شرك أكبر ولا عنده طواف بالقبور ولا شيء، فيقول لك: ما معنى الشرك؟

تقول: الشرك هو الذي تقولونه أنتم والنبي.

أنت تحصر الشرك؟ لا، لكن أنا أقول لك: الآن إنكم تقولون والنبي أو تقولون والكعبة، وهذا لا يجوز.

طيب لماذا لم تنبّه على طوف القبور؟

هذا الرجل موحد لا يطوف بالقبور، لكن في لسانه كلمة والنبي، فأردت أن تنبهه، هذا معنى كلام ابن عباس.

إذا قد يذكرون من التفسير بعض أنواع الاسم ولا يقصدون بها الحصر.

نعم

كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ الخبز فأُرِيَ رغيفا وقيل هذا هو، فذاك مثال للخبز وإشارة إلى جنسه، لا إلى ذلك الرغيف خاصة.

لما دخل الإسلامَ هؤلاء العجم صار عائق اللغة كبيرا، فلو قلت لأعجمي مثلا أريد رغيفا، وهو ما يدري ما معنى الرغيف، فإذا قلت: هذا. الآن أنت بهذه الإشارة تريد التمثيل، هذا مثال للخبز، إشارة إلى جنسه، لا أنك تعرّف بالرغيف والداخل في اسمه، لكن تقول: هذا الرغيف، حتى يفهم مباشرة، فهل معنى ذلك أنك تحصر الاسم فيه؟ لا لا تحصره فيه.

نعم

ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] فالقول الجامع أن الظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق بمنزلة المقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق.

نعم هذا الآن

معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] سبحان الله، الآية من ألفاظها، الظالم لنفسه واضح أن عنده تعدٍّ وتجاوز لحدود الله، والمقتصد واضح عنده اقتصار على شيء محدد، والسابق بالخيرات هو الذي عنده انطلاق في أنواع الخيرات والقرب إلى الله -عز وجل-.

بمَ فسّروا الظالم لنفسه؟ يأتيك مُفسّر يقول: الظالم لنفسه هو كذا، والمقتصد هو كذا، والسابق بالخيرات هو كذا، فإذا قلت مثلا في مجتمع ينتشر فيه شرب الخمر، قال لك شخص: ما معنى الظالم لنفسه؟ قلت: الذين يشربون الخمر.

فقط؟ لا، لكن أنا في مجتمع رأيت أهله يكثرون شرب الخمر، والسائل هذا أنا أتوسم فيه أنه يشربُ الخمر أو أريده أن يوصل هذا إلى من يشربون الخمر، طيب هل الظالم لنفسه الآن يشرب الخمر والزاني ليس بظالم لنفسه؟ كلهم ظالمون لأنفسهم، إذن هذا معنى كونهم يفسرون اللفظ بهذه الطريقة.

نعم

ثم إن كلا منهم يذكر نوعا من هذا، فإذا قال القائل: الظالم لنفسه المؤخر للصلاة عن وقتها، والمقتصد المصلي لها في الوقت، والسابق المصلي لها في أول الوقت حيث يكون التقديم أفضل، وقال آخر: الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا يؤدي زكاة ماله، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والإعطاء في النائبة، والسابق الفاعل المستحب بعد الواجب، كما فعل الصديق حين جاء بماله كله، ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا.

وقال آخر: الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن الآثام، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والآثام، والسابق الذي يصوم عن كل ما لا يقربه إلى الله، وأمثال ذلك.

لم تكن هذه الأقوال متنافية بل كلٌّ ذكر نوعا مما تناولته الآية.

ما الراجح عندكم من هذه الأقوال؟ أم كلها صحيحة؟

هذا مراده، وأنت حكيم، تعرف مثل ما ذكرت لك، شخص أتاك يسأل عن الظالم لنفسه وأنت ربما تعرف أنه شارب خمر، تقول الظالم لنفسه الذين يشربون الخمر، هؤلاء معرضون للوعيد، كأنك تتكلم عنه وأنت تريده، طيب لماذا قلت الظالم لنفسه هو شارب الخمر؟ لأنه أفضل له، حتى يتفطن ويتفهم وتكون ناصحا له بطريقة غير مباشرة، لأنك تتوسم فيه، لأن بعض شُراب الخمور تتضح معالمهم.

هل تقصد أن الزاني ليس بظالم لنفسه؟ لا، إذن ليس في هذه راجح ومرجوح، هذه الأقوال ما هي إلا أمثلة.

الآن هل هذه الأقوال متضادة؟ لا، هذا مراده الآن بقوله بتفاسير السلف.

نعم

الوجه الثالث: أن يذكر أحدهم لنزول الآية سببًا ويذكر الآخر سببًا آخر لا ينافي الأول، ومن الممكن نزولها لأجل السببين جميعًا أو نزولها مرتين مرةً لهذا ومرةً لهذا، وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه...

هذا الآن أيضًا يقول لك ابن عباس: هذه الآية نزلت في حادثة كذا، يقول لك الآخر نزلت في حادثة كذا، ما يمنع أن الآية تنزل في بعض الأحيان وتشمل السببين، وقد تنزل الآية -على قول بعض أهل العلم- قد تنزل مرة ثانية.

طيب هل في هذا تناقض؟ لا، تشمل السببين، يقول -رحمه الله- هذا الآن الاختلاف الذي ذكرناه، أين هذا من اختلاف الجهمية فيما بينهم واختلاف المعتزلة فيما بينهم؟ فرق كبير جدا، هذا فيه تضليل وتبديع وهذا مجرد وجوه من وجوه التفسير.

نعم

وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يختلفوا فيه، كما أن تنازعهم في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وجملها منقولة عنه بالتواتر.

يعني أعطيك مثالا إذا وجدت اختلافا فيه نوع من التناقض مثل قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦]

ما البطشة الكبرى؟ قيل إنها يوم بدر، وقيل بل البطشة الكبرى من اسمها كبرى، تكون في القيامة.

هل في هذا تضليل أو تبديع؟ سواء قلت الراجح هذا أو هذا، ما فيه إشكال كبير، وقد يقول قائل إن البطشة الكبرى من عموم اسمها يصدق أن يكون منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة، فيعيدك الآن يعيدك إلى الوجهين الآخرين أن هذا يشمله اللفظ.

لكن لا تجد بينهم اختلاف تناقض يؤدي إلى التضليل والتبديع، وإنما يوجد مثل ما ذكرنا، لذا قال إنه إذا وُجد عندهم اختلاف التناقض أولا فهو قليل بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه أو ما كان من الوجوه السابقة، والأمر الآخر أن تنازعهم فيه مثل تنازعهم في بعض مسائل الصلاة والصيام يعني قابل للتنازع، وأنه هل البطشة الكبرى هذا أو هذا أو تشمل الاثنين، أو هذا الصواب وهذا راجح ومرجوح، الأمر في هذا مثل الخلاف في مسائل تتعلق بأحكام الصلاة والصيام وغيرها.

نعم

وقد تبين أن الله تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة وأمر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، وقد قال غير واحد من السلف إن الحكمة هي السنة، وقد قال -صلى الله عليه وسلم- ومثله معه، فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل إنه في القرآن ولم نفهمه نحن، أو قيل ليس في القرآن.

نوضح هذا الآن، قوله يعني هذه الأحاديث الواردة عنه -عليه الصلاة والسلام- في بعض الأحيان يمكن أن يُعرف معنى الأحاديث من دلالة آية في القرآن لكن يقصر الإنسان عن استنباطها من القرآن، هذا حال.

الحال الثاني أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه» فالسنة وحيٌ كما أن القرآن وحي فسواء أتى من جهة السنة أو من جهة القرآن فعلى التقديرين الاثنين فإنه حق، هذا مراده -رحمه الله تعالى-.

نعم

كما أن ما اتفق عليه السابقون الأولون والذين اتبعوهم بإحسان فعلينا أن نتبعهم فيه، سواء قيل إنه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك، أو قيل إنه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة.

نفس الوضع، إذا اتفق السابقون الأولون على أمر فلا شك أنه لا يجوز العدول عما اتفقوا عليه، فسواء قيل إن اتفاقهم أصلا كما هو مقرر في أصول مبني على نَص، ولا يمكن أن يتفقوا إلا على نص، فسواء اتفقوا على

نص ولم يبلغك هذا النص، أو أن هذا هو ما استنبطوه وفهموه من النصوص: فأنت ملزم باتباع السابقين الأولين، بدلالة قوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة: ١٠٠]

نعم

فصلٌ

فإذا تبيّن ذلك فوجوب إثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه.

اتضح لك الآن أن شيخ الإسلام وضع هذه المقدمات العلمية العظيمة، وهي في الحقيقة في نفسها فيها فائدة وعلم غزير ينفع طالب العلم، فلو لم يكن في الرسالة شيء سوى هذا وانتهت لكان ذلك من الفوائد الجمة، جعل كل ما تقدم الآن يعقبه فصلٌ جديد يركز فيه على أمر إثبات العلو، وهو الذي اختلف فيه هؤلاء المغاربة وصار فيه النقاش في أمر الاستواء، وما مقصد مالك بقوله الاستواء معلوم، فصار هذا أشبه ما يكون بالتقدمة والتوطئة والتأصيل العلمي، مثل ما فعل في الحموية بالضبط، المقدمة التي في الحموية تصلح كتاباً مستقلاً، فلما أصّل ذلك التأصيل العظيم أورد بعد ذلك النصوص وكلام السلف ثم كلام من بعدهم، فكل ما تقدم الآن من التأصيل العظيم لأمر الاعتقاد جاء بعده بهذا الفصل، فقال: فصلٌ فإذا تبين ذلك فوجوب إثبات العلوّ...

وهذا إن شاء الله نُتمه بعد الصلاة، نعطيكم فرصة للراحة إن شاء الله -عز وجل- ونُتم بعد الصلاة إن شاء الله.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

قال المصنف -رحمه الله-:

فصلٌ

فإذا تبيّن ذلك فوجوب إثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه.

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه، سيتكلم الآن إن شاء الله تعالى عن علو الله، وسيذكر بيان وجوب إثبات علو الله تعالى من وجوه، سيطيل في هذه الوجوه، الوجه الأول سيطيل فيه ويفرّع تفريعات، فأنت حاول أن تعرف طريقة الشيخ في الاستطراد، الوجه الأول سيستطرد فيه إلى عدة مسائل، سيذكر فروعا ويذكر مراتب وردودا، كل هذا في الوجه الأول، ثم بعد ذلك يذكر بقية الوجوه.

نعم

أحدها: أن يقال إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة، وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة مملوءٌ بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات، تارة يخبر بأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع.

وتارةً يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وتارةً يخبر بنزولها منه أومن عنده كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١-٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ١-٢] وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وتارة يخبر بأنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧] فذكر السماء دون الأرض، ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف: ٨٤]

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] وكذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»، وقال للجارية: «أين الله» قالت في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]

ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فلوكان موجب العندية معنى عاماً كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته بل مسبحاً له ساجداً، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردًا على الكفار المستكبرين عن عبادته، وأمثالُ هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة.

هذا بداية كلامه على الوجه الأول، القرآن والسنن المستفيضة والمتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين الأولين وسائر القرون الثلاثة الذين شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخيرية، قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» المنقول في الكتاب وفي السنة وفي الآثار عن هؤلاء الأخيار مملوء بإثبات علو الله تبارك وتعالى على عرشه بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات، يقول أهل العلم: إن الأدلة على علو الله -عز وجل- إذا أفرِدَت تبلغ أكثر من ألف دليل.

ابن القيم -رحمه الله- في الصواعق وفي النونية ذكر أنها تصل إلى واحد وعشرين نوعا، وإذا قيل نوع فالنوع تحته أفراد مثل ما ذكر عندك النوع الأول التصريح بأن الله في السماء ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧] «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»

«أين الله؟» قالت في السماء.

«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وهكذا، يعني أفردت الأدلة تحت كل نوع ثم جُمعت أفرادها ووجدت تزيد على ألف دليل.

والعجيب الغريب أن الرازي في التفسير نص على أن الأدلة أكثر من ألف دليل ومع ذلك أوّل العلو.

مثل ما ذكرنا أن الإنسان إذا وضع بينه وبين دلالة النصوص الجليّة الواضحة ستاراً فإنه لا يوفّق حتى لو كانت أكثر من ألف دليل.

فهذه النصوص جلية جداً في الدلالة، ومثل ما ذكرنا يعني اهتم بها علماء الأمة، ذكرها مثلاً شارح الطحاوية، ذكر الشيخ حافظ حكمي وتوسع فيها، وتوسع فيها ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية وذكرها منظومة في واحد وعشرين نوعا، تحت كل نوع عدد من الأدلة، ومن ضمنها إجماع السلف، ومنها إجماع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ومن ضمنها النصوص الكثيرة، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النصوص الواردة فيه:

فأشير بعض إشارة لمواضعٍ ** منها وأين الْبَحْرُ مِنْ خِلْجَانِ

يعني ما سأذكره مجرد خليج صغير، أما النصوص فهي بحار كلها في إثبات علو الله -عز وجل-.

ثم ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- شيئا منها، من ضمنها أن العرش -كما هو معلوم- أعلى المخلوقات، جاء الدليل على أنه أعلى المخلوقات في قوله -صلى الله عليه وسلم- «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن»

إذا كان الفردوس أعلى الجنة وسقف الفردوس عرش الرحمن، معنى ذلك أن عرش الرحمن فوق الفردوس -نسأل الله الكريم من فضله- فالعرش أعلى المخلوقات واستواؤه تعالى عليه وهو أعلى المخلوقات صريح في أن الله تعالى في العلو فوق جميع المخلوقات، وهذا وجه استدلالهم بآيات الاستواء.

يعني لو يقول قائل ما علاقة أدلة استواء الله على عرشه بالعلو؟ كون الله استوى على العرش يعني علا على العرش هذا نقر به، لكن ما علاقته حتى يكون دليلا من أدلة العلو؟

يوضحه ما ذكرت لك من الحديث أن العرش أعلى المخلوقات واستواء الله تعالى على العرش يدل على علو ه -سبحانه وتعالى-.

يقول: تارة يخبر بعروج الأشياء إليه وصعودها كما قال تعالى في عيسى -عليه الصلاة والسلام- ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤] إليه، إلى الله -سبحانه وتعالى- لا على تأويلاتهم إلى ملكوت السماء وغير ذلك، وكذا ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

تارة يخبر بنزول الأشياء منه سبحانه وبحمده كقوله تعالى ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢] إلى غيرها من الآيات التي ذكر فيها أن النزول يكون من عند الله -عز وجل-.

وتارة يخبر أنه العلي الأعلى، وعلو ه من جميع الجهات، علو قهره وعلو ذاته -سبحانه وتعالى- وعلو صفاته.

ثم قال: وتارة يخبر بأنه في السماء، وذكرنا أدلة أنه في السماء، يقول: في قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧] فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق ذلك بألوهية، أي ذكر أنه في السماء ولم يقُل والأرض ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ولم يوفي الأرض، لما جاءت الألوهية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي معبود ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي معبود، فهو يُعبد سبحانه في السماء وفي الأرض.

أما هو سبحانه فهو في السماء ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦] ولهذا لما قالت الجارية لما سألها -صلى الله عليه وسلم- أين الله قالت في السماء شهد لها بالإيمان.

وهكذا قوله -صلى الله عليه وسلم- في بقية نصوص «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» وغيره.

قال: وتارة يجعل بعض المخلوقات عنده.

ما المخلوقات التي عند الله تعالى؟

هي الملائكة «إذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» قال الله -عز وجل- ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنبياء: ١٩] كلها ملكه سبحانه، لما ذكر العندية قال: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وأخبر أنهم لا يستكبرون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يعني الملائكة.

يقول: لوكان موجب العندية -العندية نسبة إلى العند، عندية المكان عند الله- لوكان موجب العندية معنى عاماً لدخل فيه جميع الخلق، لأن جميع الخلق داخلون تحت قدرته ومشيئته.

لكن لما ذكر ملكه لجميع الخلق قال ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنبياء: ١٩] فلما ذكر الذين عنده قال ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] لذلك يقول الشيخ: لوكان مواجب عنده معنى عاماً كدخول المخلوقين تحت مشيئته تبارك وتعالى وقدرته لكان كل مخلوق عند الله ولم يكن أحدهم مستكبراً عن

عبادته بل مسبحا له ساجدا، لماذا؟ لأن الله قال في وصف الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] فلما ذكر الكفار قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠]

هؤلاء المستكبرون ليسوا عنده تعالى، إنما الذي عنده ملائكة لا يستكبرون عن عبادته، ثم قال وأمثال ذلك في القرآن لا يُحصى إلا بكلفة، مراده أن أدلة العلو كثيرة جدا كما ذكرنا وأوردها أهل العلم.

ومثل ما ذكرت، موضع العجب ليس في أن يجهل المتكلم النصوص إنما موضع العجب أن يأتي مثل الرازي ويقول في تفسيره: إن أدلة العلو تبلغ أكثر من ألف دليل، ما الذي استفدته إذا علمت أنها تبلغ أكثر من ألف دليل ثم قلت إنها لا تدل على العلو؟ فلو كانت ألفي دليل أو ثلاثة آلاف أو أكثر ما استفدت.

هذا مثل ما ذكرنا سوء التعامل مع نصوص الشريعة.

ثم قال -رحمه الله- تعالى بعد أن ذكر نصوص القرآن: وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة... سيتكلم الآن بعد أن ذكر الأدلة من القرآن مجملا ولم يطل فيها سيتكلم عن الأحاديث والآثار.

وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى فلا يخلو إما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من إثبات علو الله نفسه على خلقه هو الحق، أو الحق نقيضه، إذ الحق لا يخرج عن النقيضين.

وإما أن يكون نفسه فوق الخلق أولا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية، ثم تارة يقولون لا فوقهم ولا فيهم ولا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا محايث، وتارةً يقولون هو بذاته في كل مكان، وفي المقالتين كلتيهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه.

فإما أن يكون الحق إثبات ذلك أو نفيه، فإن كان نفي ذلك هو الحق فمعلو م أن القرآن لم يبين هذا قط، لا نصا ولا ظاهرا، ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، لا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم، ولا يمكن لأحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به.

وأما ما نُقِل من الإثبات عن هؤلاء فأكثر من أن يُحصَر، فإن كان الحق هو النفي دون الإثبات والكتاب والسنة والإجماع إنما دل على الإثبات ولم يذكر النفي أصلا: لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب بل نطقوا بما يدل إما نصا وإما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب، ومعلو م أن من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله أوفر حظ في قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

لما ذكر النصوص والآثار قال: النصوص والآثار عن الصحابة والتابعين لا يحصيها إلا الله -عز وجل- في النص السابق قال: لا تحصى إلا بكلفة.

أما الآثار عن الصحابة والتابعين إذا أردت أن تستقصيها ما هو صريح وما يفهم منه ذلك فإنه لا شك لا يمكن أن يحصيها أحد إلا الله، كثيرة جدا جدا.

يقول: ما دام الأمر كذلك، القرآن دل على العلو والسنة دلت على العلو، وعلى هذا جرى السابقون الأولون الذين هم خير الأمة بنص القرآن ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فالأمر لا يخلو من الآتي:

إما أن تكون دلالة هذه النصوص في إثبات علو الله -عز وجل- هي الحق، أو أن يكون الحق بخلافها.

يقول: اختاروا، إما أن ما دلت عليه من إثبات العلو هو الحق، وإلا قولوا إن الحق في خلافها، والحق لا يخرج عن النقيضين، إما أن النصوص هي الحق أو أن غيرها هو الحق، فإما أن الله تعالى فوق خلقه، وهذا هو الاعتقاد الحق، وإما أن يقال: إن الله لا يقال إنه فوق الخلق.

فماذا تقول الجهمية؟ الجهمية لفظ يطلق على الجهم بن صفوان والجهم بن صفوان لابد من التعريف به؛ لأن هذه الكلمة تتكرر، الجهمية وفروعها.

الجهم بن صفوان أخذ عن شيخ السوء الجعد بن درهم، وكان هناك فرقة تسمى الجعدية، وكان الجهم واحدا من تلاميذ الجعد بن درهم، الجعد بن درهم قُتل بفتوى أهل الشرع على يد خالد بن عبد الله القسري أحد أمراء بني أمية، وذلك أنه نفى صفتين وتظاهر بذلك فنفى صفة الكلام والمحبة، فذُبِح يوم العيد عيد الأضحى، حتى يكون تذكاراً وخطب خطبته: ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علو ا كبير.

يعني نفى الصفتين هاتين، المحبة والكلام.

الجهم بن صفوان صار أشر وأكثر تأثيرا من شيخه، واتجه الى المشرق التي أخبر -صلى الله عليه وسلم- بكثرة الشر فيها، وأثر كثيرا في أهل خراسان وفي أهل المشرق، وتتبّعه بنو أمية حتى أدركه سَلم بن أحوز وقتله، ولما راد ان يقتله لأنه كان خرج كثيرا على بني أمية استعطفه الجهم وأراد منه أن يتركه فأخبره سَلم بن أحوز أنه لا يقتله لمجرد أنه خرج على بني أمية، يقول أنا سمعت عنك كلاما، يعني مثل كلامه في الصفات، عاهدت الله منذ أن سمعته على أن أقتلك، يعني لخبث ما قرره الجهم بن صفوان في هذه الصفات.

وكان مما يقول -قاتله الله- أن الله في كل مكان وأنه لا يخلو منه أي مكان حتى بطون النساء وحتى الأماكن التي يُرغب عن ذكرها، مع قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] فلماذا عدل عن هذه الآيات الصريحة الجلية

وقال بهذه المقالة الخبيثة وهذا قول غلاة الجهمية وهو قول كثير من الصوفية، ولا سيما من يقولون بالاتحاد، أصل المقالة جاءت من الجهم فتفرعت حتى وصلت إلى مقالة الاتحادية، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله- تعالى في أن الجهمية هم الأساس في وجود الاتحادية والاتحادية زنادقة دون إشكال، يقول:

فلذاك قُلنا إنكم بابٌ لأهـ** لِ الاتّحاد نقولُ بل بابانِ

نَقَطّتمُ لهمُ وهم خطوا على ** نقطٍ لكم كمعلم الصبيانِ

معلم الصبيان يرسم مثلا الحرف ألف نُقط، ثم يقول للصغير صل ما بين هذه النقط.

يقول أنتم السبب، كأنكم معلمو الصبيان.

فتسبب قول الجهمية لاحقا في مقالات الاتحادية، وحتى لاحقا دخلت مقالات وحدة الوجود والبلايا الهائلة التي دخلت على التصوف، هذا القول الاول من مقالات الجهمية.

القول الثاني: وهي المقالة المشهورة عند الأشعرية:

أن يقال إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا عن شماله ولا مباين له ولا محايث.

لما قال ابن فورك وهومن نظّار الأشاعرة هذا الكلام لمحمود بن سبكتكين صاحب الدولة السبكتكينية، قال: لو أردنا أن نعرّف العدم لن نجد أفضل من تعريفك.

ما هو الشيء الذي لا داخل العالم ولا خارجه ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا مباين ولا محايث، قال كلامك كله يؤدي إلى العدم.

فهذه مقالات الجهمية كلها تنفي أن الله تعالى في السماء مع صريح الآيات أن الله تعالى في العلو.

يقول: كلتا المقالتين مقالة الجهمية ومقالة فروعهم هؤلاء يدفعون أن يكون الله فوق خلقه، فإما أن يكون الحق إثبات ذلك أو نفيه، فإن كان نفي ذلك هو الحق كما تقول الجهمية وتقول الأشاعرة فمعلو م أن القرآن لم يبين هذا قط لا نصا ولا ظاهرا.

النص عند الأصوليين هوما لا يحتمل إلا معنى واحدا، فهذا واضح لا مجال للعدول عنه.

أما الظاهر فهوما احتمل معنيين أو أكثر وهو في أحد هذه المعاني أظهر، ما حكمه؟ يبقى على ظاهره إلا إن دل دليل على صرفه عن ظاهره، وما الدليل الذي يصرفه عن ظاهره الدليل الذي يصرفه عن ظاهره حدده الشافعي في كتاب الرسالة الذي هو أفضل كتب أصول الفقه على الإطلاق، أفضل ما أُلِف في كتب أصول

الفقه لا تتصور لا تأليف الجويني ولا مستصفى الغزالي ولا غيرها، أفضل ما أُلِف كتاب الرسالة، لماذا؟ لأن كتاب تأصيل وكتاب تدليل ولأنه كتاب عالم لا حشو فيه ولا كلام فارغ ولا مقدمة منطقية كما في المستصفى ولا في غيره، أصول فقه حقيقية فنصّ -رحمه الله تعالى- على أنه لا يُعدل عن الظاهر إلا في ثلاثة أحوال: إذا دل نص من القرآن على العدول عن الظاهر، أو نص من السنة على العدول عن ظاهر القرآن، أو إجماع، وليس أحد المفسرين يأتي ويؤول كما يريد ويخالف السلف.. يقول: لا يُعدل عن الظاهر إلا في هذه الأحوال الثلاثة، وإلا فالأصل أن يبقى الظاهر على دلالته.

فيقول الشيخ -رحمه الله-: الآن ما دامت النصوص في القرآن وفي السنة كلها في إثبات العلو، ولم يأت فيها لا نصا ولا ظاهرا، ولم يأتِ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين لا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم ولا يمكن لأحد ان ينقل عن واحد من هؤلاء من السلف والأئمة أنه نفى العلو أو أخبر به، وأما ما نقل عنهم من الإثبات فأكثر من أن يُحصر، يقول فأنت الآن اختر الآتي:

إما أن يكون الحق هو النفي دون الإثبات، مع وجود الإثبات في الكتاب والسنة والإجماع، والنفي لم يُذكر، فاخترت هذا وقلت بل الصواب النفي وإن وجد الإثبات في الكتاب والسنة والإجماع: لزم من ذلك -هذا الآن لازم المقالة- عندنا مقالة وعندنا لازم المقالة: أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم ينطق بالحق في هذا الباب الذي هو أعظم الأبواب، باب العلم بالله، بل نطق بما هو إما نص وإما ظاهر على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب.

يقول من اعتقد هذا في الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي المؤمنين فله أوفر الحظ من قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

يعني كأنه يقول: انتبه، القرآن مليء بإثبات النصوص الدالة على أن الله تعالى فوق عرشه.

وإجماع الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين على ذلك، وهكذا كلام بقية أئمة الإسلام، فإن كان الحق في النفي فمعنى ذلك أن النصوص تنطق بالباطل ولا تنطق بالحق، وأن الصحابة لم يعتقدوا الحق ولم يبينوه وإنما نطقوا بالباطل.

لا يوجد أحد نهائيًا يستطيع أن يلتزم هذا اللازم مطلقا، لا أحد يقول أنا ألتزمه، وإلا سيكون كافرا إذا التزم هذا اللازم، قال نعم النصوص فيها الإثبات والصحابة كلامهم كله في الإثبات ولم ينطقوا بالحق بل نطقوا بخلاف الحق، يكفر فورا.

لكن مثل ما ذكرنا، دائما هم يتأولون، وكلامهم يؤوّل على كذا ويحمل على كذا، ونحو ذلك من العبارات التي يريدون بها دحض الحق، كما قال تعالى ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥]

إذن هذا الأمر الأول، لا نزال في الوجه الأول وهذا واحد من فروعه.

نعم

فإن القائل إذا قال: هذه النصوص أريد بها خلاف ما يُفهم منها أو خلاف ما دلت عليه، أو أنه لم يُرد إثبات علو الله نفسه على خلقه وإنما أريد بها علو المكانة ونحو ذلك كما قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع، فيقال له: فكان يجب أن يبيَّن للناس الحق الذي يجب التصديق به باطنا وظاهرا ،فإن غاية ما يُقدَّر أنه تكلَّم بالمجاز المُخالِف للحقيقة والباطن المُخالِف للظاهر، ومعلو م باتفاق العقلاء أن المُخاطِب المُبَيِّن إذا تكلَّم بمجازٍ فلا بُدَّ أن يقرِن بخطابه ما يدلُّ على إرادة المعنى المجازي ،فإذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بيّن للناس ما نُزل إليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه، كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يُرَد، لا سيّما إذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله، فإن عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده إذا كان ذلك مخوفا عليهم ،ولولم يخاطبهم بما يدل على ذلك، فكيف إذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة هو اعتقاد باطل، فإذا لم

يكن في الكتاب ولا السـنة ولا كلام أحد من السـلف والأئمة ما يوافق قول النفاة أصـلا، بل هم دائما لا يتكلمون إلا بالإثبات امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الإثبات وأن يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه وهم لم يتكلموا به قط ولم يُظهروه، وإنما أظهروا ما يخالفه وينافيه وهذا كلام مُبيّن لا مخلص لأحد عنه.
لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام، وللجهمية المتفلسفة كلام.

تكلم -رحمه الله- تعالى عما إذا قال هؤلاء -وهذا الذي يقولونه- هذه النصـوص أريد بها خلاف ما يفهم منها، والعلو أريد به علو المكانة، الشـيخ رد عليهم في أكثر من موطن، لكن يقول: لو قُدّر أن هذه النصـوص على ما تقولون أنها مجاز فمن الواجب على النبي -صـلى الله عليه وسـلم- في أثناء تبيينه للناس ما يجب اعتقاده في الله أن يبين الحق وأن يقرن بهذا الكلام ما يُظهر أنه لا تراد حقيقته.
أما ان يترك الكلام ويرسـله هذا الإرسـال وهو يتحدث في الكلام عن رب العالمين ويعرّف بالله -عز وجل- ثم يكون المقصـود خفيا غير مراد، لا شـك أن هذا على خلاف التبيين الذي امره الله -عز وجل- به ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤]
لم يعُد هذا تبيينا، بهذه الطريقة، إذا لم يقرن بكلامه ما يدلّ عليه فإن ذلك إضـلال للناس -عياذا بالله من هذا الكلام-.
أما أن يقال إن هذا هو المعنى المراد ثم لا يتضح لا في كلام الله ولا في كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولا في كلام الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة، وتظل الأمة تعتقد هذه القرون عقيدة باطلة حتى يأتي من يقول: لا ليس المقصود ذاك الاعتقاد الذي اعتقده السابقون، بل ذلك مجاز خُوطبت به الأمة ولم يفهموا أن المراد المجاز ولكنهم ظنوه الظاهر ومضوا عليه، تعالوا هلموا إليّ أعطيكم المعاني الصحيحة.
هذا فيه تضليل واضح جدا للصحابة والتابعين ولرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المقام الأول، لذا يقول لا بد أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يُرِده، ولا سيما إذا كان معنى باطلا،

وعليه أن ينهاهم أن يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده إذا كان ذلك مخوفاً فقط، مجرد خوف ولو لم يخاطبهم، فكيف إذا خاطبهم بالكلام الذي يدل على خلاف ما تعتقده النفاة؟

فالحاصل أن مقالة النفاة تماما كما قال ابن القيم:

الله أكبر أنتمُ أوهُم على ** حقٍّ وفي غيٍّ وفي بطلانِ

يعني إما أنكم أنتم على الحق وإما أن السلف على الحق، فإن كنتم أنتم على الحق فالسلف على الضلال وإن قلتم لا، لا يقال في السلف إنهم على الضلال بل لا بد أن يقال إنهم عقيدتهم سوية وصحيحة، كيف يكونون أفضل الأمة إذن؟
فقولوا إنكم أنتم على الضلال.

أما أن تكون عقيدتكم مخالفة لعقيدة السرف تمام المخالفة ثم تقولون إن ناجون وإنهم ناجون فلا يمكن أن يكون هذا؛ لأن خلاف هذه العقيدة الموجودة في النصوص: ضلال.
فإما أن يكونوا اعتقدوا الحق وإما أن يكونوا اعتقدوا الضلال، وقد خالفت عقيدتكم عقيدتهم تمام المخالفة، فاختاروا، وهذا النوع من الأسلوب وهو حصر المخاطب فعله ابن مسعود -رضي الله عنه- مع الذين أتى إليهم وقد وضعوا حصى يعدون بها التسبيح والتهليل وفيهم رجل يقول هللوا مئة فتضج الحلقة لا إله إلا الله حتى يكملوا مئة تكبير وتهليل جماعي، فأتى إليهم وقال:
ما أسرع هلكتكم؟ هذه آنية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم تكسر وثيابه لم تبلَ، يعني أنتم الآن لا تزالون حديثي عهد برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم تبتدعون هذه الأمور، ثم قال: إما أنكم مفتتحو باب ضلالة أو أنكم وجدتم ما هو خير من دين محمد -صلى الله عليه وسلم-.

اختاروا أحد أمرين، إما أنكم على هدى فيكون هذا الهدى الذي ابتدعتموه خيرا مما بعث الله به نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم-، وإن قلتم: لا، من يقول هذا؟

إذن اختاروا أنكم أنتم قد افتتحتم باب الضلالة.

ما يمكن أن يكون هناك مباينة تمام المباينة بين عقيدتين إلا ويكون أحد اصحاب العقيدتين على هدى والآخر على باطل.

مثال:

إما أن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- عدول وأن الله تبارك وتعالى بما أخبر به عن ترضيه عنهم وتسميتهم بالصادقين وقوله فيهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] وقوله في كلمة التوحيد ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] كلمة لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] ووعد الله لهم ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]

فإما أن يكون الصحابة موعودين بالجنة وعدولا ومؤمنين وصادقين ومفلحين كما يقول أهل السنة، ويكون قول الرافضة في ذمهم هو الباطل، وإما أن يكون قول الرافضة هو الحق وقول أهل السنة هو الباطل.

فأجب عن هذه النصوص، هذه النصوص تدل على ماذا؟ على قول أهل السنة، إذن فإذا قلت إن قول أهل السنة باطل قبل ذلك قل إن النصوص هي التي حوت الباطل.

وهكذا يا إخوة في جميع الأبواب، الآن هذا الكلام يقوله للنفاة الجهمية، يقال هذا أيضا للخوارج، يقال للروافض، فهي حجة واحدة إما أن تكون دلالة النصوص الجلية الواضحة قد دلت على الحق فمن اعتقدها فهو على الحق، وإما أن يكون القول المخالف للنصوص هو الحق فلا بد أن تقول إن النصوص تضمنت الباطل.

ولا أحد يستطيع أن يجهر بهذا بهذه الطريقة، لأنه يكفر مكانه.

لكن هذه مزية النقاش مثل ما ذكرنا حين يحدد الموجود في كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- واعتقاد السلف، لذا قلنا مهم جدا أن تعرف اعتقاد السلف وأن تعرف الكتب التي دلت على اعتقاد السلف لأنها تنهي النقاش مع هؤلاء.

يأتيك شخص يقول لك: من قال إنه قول السلف؟ أنا أقول لك إنه قول السلف أروي لك بالأسانيد الصحيحة الثابتة ما يبيّن أن الاعتقاد هو هذا.

مثلا في مسألة الرؤية، اللالكائي وضع سياقين اثنين في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة:

السياق الأول في النصوص القرآنية الدالة على الرؤية وتفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- وتفسير الصحابة لها، والسياق الثاني في الأحاديث النبوية المطلقة التي قالها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم تكن تفسيرا للنصوص وما جاء عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والأئمة، وجعل السياق إثبات أن رؤية الله تعالى بالعين، ونقل قولهم إن الله تعالى يُرى بالعين.

فإن قلت: لا، الرؤية ما أُثبتها، نقول أنت الآن لا تثبتها لكن قبل أن تقول أنا لا أثبتها لا بد أن تضلل السلف الذين قالوا إن الرؤية بالعين، تقول لا الرؤية مزيد علم، أنت تقول إنها مزيد علم، وأصل المقالة مقالة المعتزلة وتلقتها الأشعرية المتأخرون وخالفوا حتى أبا الحسن، لكن دعني من هذا الآن، الذين يقولون إن الرؤية بالعين مجسمة نابتة كُفار، انتظر هذا الآن كلام الصحابة والتابعين ،حتى نقل عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهم- وجزى الله اللالكائي وأجزل له المثوبة، وأئمة السنة نقلوها بالأسانيد عنهم، قبل أن تضللني ضلل الذين قالوه، ضلّل النصوص، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله- لما ذكر إثبات النصوص وقولهم أنتم مجسمة أنتم مشبهة، يقول لا تقل لمن استمسك بالنصوص إنك مجسم، لا.

قال:

ما ذنب من قد قال ما نطقت به ** من غير تحريفٍ ولا بُهتانِ

ما الذنب إلا للنصوص لديكمُ ** إذ جَسّمت أو شبّهَت صنفانِ

يقول الذنب عندك الآن ليس ذنبي وليس ذنب فلان وفلان من العلماء، الذنب عندك في الحقيقة ذنب النصوص إذ جسمت أو شبهت، قل الذي تريد

لكن عندك الذنب هو ذنب النصوص الجلية، مثل ما ذكرنا نماذج لها، هذا مراده -رحمه الله تعالى-

ومثل ما ذكرنا يعني الإمام ابن تيمية -رحمه الله- يضع خناقا على المخالف بهذا، يقول خصومتك لا تتصور أنها مع فلان أو فلان من العلماء، ولذا له كلمة شريفة جدا يحسن بطالب العلم أن يحفظها، يقول شيخ الإسلام:

مذهب السلف مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة.

القضية ليست مربوطة بفلان أو فلان، لا من المتقدمين ولا المتأخرين، القضية مربوطة بمذهب الصحابة، والصحابة تلقوه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإذا قلت ما الدليل على أنهم تلقوه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلى الرحب والسعة، أنا أعطيك الدليل، هذه آثار الصحابة، هذه آثار التابعين ولا تجعلوا الدين كأنه ضباب لا يُعرف، هذا خطير جدا إذا قيل الآن لا يعرف، هذه مقالات المتكلمين... الحق لا بد أن يكون في أحد السبيلين إما في سبيل السلف وإما في سبيل المتكلمين.

فسبيل السلف متقدم وهم الذين أثنى الله تعالى عليهم وقال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- «أصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعَدُون»

أتى أمتي ما يُوعَدُون في ماذا؟ أمنة في ماذا؟ أمن

للأمة في دينها ودنياها، فكانت البدعة إذا أطلت برأسها قمعها الصحابة في الحال، انظر البدعة في زمن الصحابة ساعة تظهر بدعة تُقمع في الحال.

ثم لما مضى الصحابة -رضي الله عنهم- تكاثرت البدع، فكانوا أمنة للأمة في دينها وفي دنياها، فكانت الفتوح الكبرى زمن الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- «فإذا ذهب أصحابي أتى أمة ما يُوعَدون»

«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» ماذا بعد ذلك؟

«ثم يفشو الكذب، ثم يأتي أناس تسبق يمين أحدهم شهادته وشهادته يمينه»

ثم يقول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الآخر «إن أمتكم هذه جُعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تُنكرونها»

عافيتها في أولها في ماذا؟ أول عافية في دينها أعظم عافية للسلف عافيتهم في الدين «وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها»

كل هذا ما يدل على أن المتكلمين ضُلال؟ كل هذا ما يدل على أن من خالف السلف ضُلال؟

العافية في المتقدمين «أصحابي أمنة لأمتي» ويقول: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»

والله تعالى يقول ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

أتدري مقالات المتكلمين تنتهي إلى أين؟ إلى أعداء الله أجهل الخلق بالله فلاسفة اليونان ولا يستطيعون محيصا عن هذا.

انظروا المنطق الآن، المنطق هو لسان الفلسفة، يقولون المعلم الأول المعلم الأول، فيلسوف لا يعرف الله.

وأخذوا قواعد الفلسفة وسكبوها في العلو م الدينية ونتج منها هذه المقالات، وعلى رأسها دليل الحدوث قالوا من لم يقرر له بدليل الحدوث فإنه لا يكون مؤمنا أصلا، أخذت الصوفية وحدة الوجود، وأصولها الأولى القديمة عند الهند أخذها فلاسفة اليونان وصبغوها صبغة فلسفية، أتى ابن عربي وأمثاله سبكوها في أوعية صوفية.

فإذا نظرت وإذا بالتصوف يعود بك إلى المذاهب الشرقية للبوذيين ومجموعة المذاهب الشرقية الهندوس وغيره، وتجد شيئا كثيرا جدا من وجوه الشبه بين هؤلاء وهؤلاء.

المتكلمون أثنوا الثناء العطر والكبير على فلاسفة اليونان وعلى غيرها والآن المذاهب الأخيرة للأسف.. مذاهب المتكلمين مستقرة على الوضع الفلسفي للمذهب.

مثل المذهب الأشعري، المذهب الأشعري قلنا نمر بثلاث مراحل:

الكُلّابية الأولى التي عليها أبو الحسن.

الثاني مذهب صبغ الأشعرية بالاعتزال على يد الجويني.

الأخير وهو أسوأ ما وصل إليه، هو الذي استمر عليه المذهب، صبغ المذهب الأشعري بالفلسفة.

ولذا انظر للعناية الكبيرة جدا عندهم بالفلسفة، انظر بداية كلامهم، المواقف للإيجي وغيره، مقدمات فلسفية.

طيب ما علاقة هذا الآن بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ما علاقة هذا بالسلف؟

ثم تقول لنا نحن أهل السنة والجماعة، طيب أنتم أهل السنة والجماعة وأنتم على هذا الخلاف الشديد للذي عليه الصحابة والتابعون، وتسمع ما شاء الله تبارك الله رؤوسهم، يقول لك: أصلا ليس هناك شيء يسمى صحيح مسلم، مسلم الذي ألف صحيح مسلم هو النووي.

موجودة مقاطع مصورة، لأن النووي كتب شرحا على صحيح مسلم.

والثاني أتى بعمّته وقال: أنتم تخطئون تقولون إن البخاري اسمه محمد بن إسماعيل، لا، اسمه جمعة محمد إسماعيل، لماذا؟ مكتوب: جمَعَه محمد، ما يدري ما الذي في وسط الكتاب أصلا.

لذلك يقول شيخ الإسلام: لا يعرفون البخاري إلا بالاسم، ولهذا الآن اطلب من أحدهم: أنا أريدك أن تشرح صحيح البخاري، الأحاديث أول مرة تطرق سمعه، حياته كلها في تقريرات المتكلمين والفلاسفة، إذا

أردته أن يقول أفلاطون وسقراط فعلى الرأس والعين، يعطيك محاضرة ما تنتهي، أما أن تأتي له بالبخاري فهو لا يدري باسم البخاري، فما بالك بالنصوص التي في وسطه، هل يدري بهذه النصوص؟ لا يدري بهذه النصوص، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

الذي لا يعرف نصوص الكتاب والسنة لا يمكن أن يستدل بها ولا يتصور الجهالة والضلالة الكبيرة التي هو واقع فيها، جهالة عظيمة جدا واقع فيها.

لأن من لا يعرف هذه النصوص وهذه الكتب العظام التي عليها أساس الإسلام فلا يُستغرب أن تكون عنده هذه الضلالات.

فالحاصل أن هذا الضلال الذي وُجد في الأمة لم ينشأ من فراغ، ولن يعيد الأمة إلا كما قال مالك -رحمه الله- «لن يصلح آخر هذه الأمة إلى بما صلح به أولها»

الأمة في السابق قبل بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- كما قال تعالى ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

هذا يعيدك لضلالة الفلاسفة وهذا يعيدك لضلالة المذاهب الشرقية البوذية والهندوسية وأمثالها من المذاهب الشرقية.

موجود الآن، حتى أنك تستطيع أن تضع مقارنة بين مقالات الصوفية ومقالات الهندوس، للأسف الشديد.

عندك مثلا كتم النفَس، يكتم النفس لمُدة طويلة، طيب ما معنى كتم النفس؟ كتم النفس أصله الفلسفة الشرقية، يقول إن الروح مسجونة في الجسد، والروح لن تتحرر من الجسد حتى يدمّر الجسد، فدمر الجسد بكتم النفس، ما الذي يترتب على كتم النفس؟ الصغير إذا ولدته أمه وصار فيه اختناق مباشرة يتأثر دماغه، فكثير منهم تتأثر أدمغتهم.

عندك التشديد على النفس بالأكل، السهروردية، يأخذ رغيف خبز ويقطعه أربعة أقسام والقسم ثماني مرات.

فالحاصل أن هذه البلايا التي أتتنا، سواء من المتكلمين معتزلة جهمية أشعرية ماتريدية، أو أتتنا من التصوّف: تعيد الناس إلى الضلال المبين ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

لكن هذا نوع من الضلال وهذا نوع من الضلال وهذا نوع من الضلال، يحسَّن ويزيّن، فيأتي الصوف يقول: هذه كشوف، أنتم تروون ميتًا عن ميت وأنا أروي عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، ثم يذكر هذه الضلالات.

ويأتيك المعتزلي والمتكلم عمومًا يقول أصلاً ما فيه مجال لأن تثق بعقيدتك حتى تقيمها على دليل الحدوث ومن لم يقِمها على دليل الحدوث -وهذا ما قال جماهيرهم- لا يكون مسلما.

فيكفر الأمة رغم أُنوفهم.

هؤلاء يقولون إن إيجاب النظر أن العالم لا يخلو من حوادث وما لا يخلو من حوادث فهو حادث، يقولون هذا الدليل لا بد أن يقرره الإنسان قبل أن يتشهد الشهادتين، طيب عامّة المسلمين مساكين لا يعرفون ما هذا الكلام.

قال: من لم يقرر دينه على النظر فإنه لا يكون مؤمنا.

وانظر الآن في أم البراهين، من أهم كتب الأشعرية المتأخرين يقول: إن النظر واجب، يقول الدسوقي في شرحه: أي من لم يحققه فإنه يكون خالدا في النار، يقول: وهو قول الجمهور، قول جمهور المتكلمين.

رأيت تكفير الأمة كيف؟ يأتي من هذه المذاهب الفاسدة.

ولهذا عدد، مثل القرطبي وابن حجر والنووي وابن عبد السلام والقرطبي المفسر والمحدث كلهم أنكروا هذا، مع أنهم يميلون للأشعرية، وضللوا هذه المقالة، وقال ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري لما نقل مقالة الأشعرية، قال: وكفى بهذا ضلالا. يعني مقالة ضالة خطيرة جدا أن تكفر الأمة بهذه الطريقة، ومع ذلك ينقلون يقول لما قيل لبعضهم أتكفر آباءك وأسلافك وجيرانك؟ كل الناس من حولك ما يعرفون دليل النظر.

قال لا تشنع عليّ بكثرة أهل النار، في ظن المسكين هذا كل الناس في النار إلا هو، ولهذا أصلها المقالة من المعتزلة، المردار المعتزلي قرر هذا، فقال له رجل: جنة عرضها السماوات والأرض لا يدخلها إلا أنت وأربعة نفَر؟

لا أحد يقول بكلامك إلا أربعة أتباع لك، هل الجنة التي عرضها السماوات والأرض لا يدخلها الا أربعة، أنت ومن يقرر النظر؟

فهذه البلايا هي التي توضح لك عظمة هذه الآية ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ناس يرجعونك إلى الجاهلية العربية الاولى بالثارات القديمة والعرب فيهم وفيهم، يعني يهمشون الأعاجم ويسخرون بهم وبألوانهم وألسنتهم، هذه جاهلية.

المذاهب الشرقية جاهلية، فلسفة اليونان جاهلية، وكلها يشملها الضلال المبين.

والله يقول ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] من خرج عن هذا التعليم الذي علمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه وعلمه الصحابة التابعين وعلمه التابعون أتباعهم واستقرت عليه ولله الحمد عقيدة أهل السنة سنة: سيعيد الأمة إلى الضلال المبين، لكن هذا شكل وهذا شكل وكلها ضلال نسأل الله العفو والعافية.

نعم

أما المتفلسفة والقرامطة فيقولون إن الرسل كلَّموا الخلق بخلاف ما هو الحق، وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون، وربما يقولون إنهم كذبوا لأجل مصلحة العامة، فإن مصلحة العامة لا تقوم إلا بإظهار الإثبات وإن كان في نفس الأمر باطلا، وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه، فإنه يقال: لوكان الأمر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم لكان خواص الرسل يطّلعون على ذلك ولكانوا يُطلعون خواصهم على هذا الأمر، فكان يكون النفي مذهب خاصة الأمة وأكملها عقلا وعلما ومعرفة،

والأمر بالعكس فإن من تأمل كلام السلف والأئمة وجد أعلم الأمة عند الأمة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبَي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم هم أعظم الخلق إثباتا.

وكذلك أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب وأمثاله والحسن البصري وأمثاله وعلي بن الحسين وأمثاله وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين، بل النقول عن هؤلاء في الإثبات يخبر عن إثباته كثير من الناس.

هنا الآن تكلم عن المتفلسفة والقرامطة، القرامطة يريد الباطنية، الباطنية يقولون: الظاهر من هذه النصوص غير مراد ،ولها باطن يخالف ظاهرها، وعمّموا ذلك حتى في الأحكام، فقالوا الصلوات الخمس ليست الصلوات هذه التي تُصلّى والصوم ليس صوم رمضان، والحج ليس حج البيت الحرام، وجعلوا لكل واحدة منها معاني، متأولين بزعمهم، يقولون: أنتم معاشر الجهمية تأولتم ونحن نتأول، أنتم تأولتم العلم المتعلق بالله ونحن نتأول الأحكام فنقول: لا توجد صلاة، الصلوات الخمس علي وحسن وحسين وفاطمة ومحسن، من تولاهم فقد صلى الصلوات الخمس.

والصوم لما كان الصوم هو الإمساك فهو أمسام سر الطائفة الباطنية أن تفشيه، فإذا أمسكت سر الطائفة الباطنية فأفطر في رمضان، ليس المقصود بصوم رمضان الذي يفهمه الناس.

وهكذا، وجاؤوا الى الجنة والنار وقالوا ليس المقصود الجنة والنار الحقيقيتين وإنما هي معاني.

وعبثوا بالدين عبثا كاملا، فلما أتوا إلى هذه النصوص قالوا إن الرسول حين تكلم بأن هناك جنة وهناك نارا وكذا، مرادهم مجرد مصلحة الجمهور، هؤلاء الأجلاف من العرب وغيرهم ومن بني إسرائيل كيف يكفّون عن قتل بعضهم، بأن يقال توجد جنة فيها حور وكذا، فأنتم كفّوا عن المحرمات حتى تدخلوها، وإن لم تكفوا عن المحرمات والقبائح فهناك شيء اسمه النار هذه تدخلونها.

يقول وليست بالحقيقة، لا يوجد جنة ولا نار.

طب ما الفرق الآن بين مقالة هؤلاء ومقالة المتكلمين؟

مقالة هؤلاء يتفق المتكلمون وأهل السـنة والجميع على كفر هذه المقالة، لكن ما الإشـكال فيها؟ الذي قلنا لك أن الفلاسـفة يقولون للمتكلمين: ما الفرق بيننا وبينكم نحن تأولنا وصـرفنا النصـوص عن الظاهر البيّن الذي كان عليه السلف وأنتم أيضا تأولتم.
وقلنا لكم إن ابن القيم نضمها على لسانهم فقال:

إنا تأولنا وأنتم قد تأو** لتم فهاتوا واضحَ الفرقانِ
ألكم على تأويلكم أجران حي** ثُ لنا على تأويلنا وزرانِ

يقولون نحن متأولون صرفنا النصوص عن ظاهرها لكن أنتم غضبتم لأننا ذكرناها في الصلاة وفي الصوم وفي غيرها وأنتم ذكرتموها فيما يتعلق بالله.
وباب الإخبار عن الله أعظم من باب الأحكام، ولهذا يقول ابن القيم -رحمه الله- أيضا في النونية:

وأتى العدو إلى سلاحهمُ فقا ** تَلَهُم به يا غيبة الفُرسانِ
يا محنة الإيمان والقرآن مِن ** جهل الصديق وبغي ذي الطغيانِ

عدو الأمة الفلاسفة، وأتى المتكلمون كي يحاربوهم فقاتلوهم بسلاحهم.

يعني حين ينهض بمقابلة الفلاسفة المتكلمون فإنهم يردون عليهم من منطلق ضعيف، ولهذا لما جاء الله بشيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- ورد على الفلاسفة دحض حججهم وأبطلها، ورد أيضا على المتكلمين منطلقا من مقالة السلف في أن هذه الصفات دلت على معنى لائق بالله.

فإذا قلت هذا المعنى لا يليق بالله نقول لنجاسة عقلك ونجاسة فطرتك، ولو كنت طاهر القلب كطهارة قلوب الصحابة والتابعين لكان المعنى الحق اللائق بالله -عز وجل- هو الذي تفهمه من هذا النص، فلما تنجست فطرتك وانتكس عقلُك ذهبتَ إلى المعنى الباطل وحملت كلام الله تعالى عليه، وإلا لوكنت طاهر القلب زكيّ العقيدة ما ذهب ذهنك في صفات الله تبارك وتعالى إلى أنها تشابه صفات المخلوق، ألا ترى أن الله يوصف بالعلم والمخلوق يوصف بالعلم ،والله تعالى يقول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥] ويصف علمه تبارك وتعالى فيقول ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] هل هذا العلم مثل هذا العلم؟ سبحان الله، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥] وعلم الرب سبحانه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فكيف يكون التشبيه؟

وعلم المخلوق ناقص وضعيف يليق به، وعلم الله تعالى على أجلّ ما يكون

ولذا قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] لا يذهب ذهنك إلى أن حياة الله مثل حياة المخلوق، فإن المخلوق حياته مسبوقة بعدم ومتبوعة بموت أما الله فحي لا يموت، فلا تقاس حياته بحياة غيره -سبحانه وتعالى-، وكذلك الصفات فالمعنى اللائق بالله -عز وجل- من الصفات هو الذي ينبغي أن تفهمه، فإن تفهمت فهما سيئا للمعنى وقلت إنه يترتب عليه ويلزم عليه ويكون منه التشبيه فهذا لفساد فطرتك، لأن الصحابة ما فهموا إلا المعنى اللائق بالله -سبحانه وتعالى-.

بناء عليه جاءت المتفلسفة هؤلاء وقالوا: أصلا الرسل حين تكلموا تكلموا لمصلحة الجمهور ليكفّوهم ويردعوهم، وإلا فلا يوجد شيء اسمه يوم آخر.

طبعا هذا الكلام رد عليه المتكلمون لكن رد المتكلمين عليه يقابلهم به المتفلسفة بأن يقولوا نحن وإياكم متفقون في موضوع التأويل وإخراج المعاني التي ذكرها الصحابة والتابعون لهذه النصوص، فما الفرق بيننا وبينكم؟

يقول الغزالي في تهافت الفلاسفة: فرق كبير، هذه النصوص تقبل التأويل وهذه لا تقبل التأويل.

أتاه ابن رشد في تهافت التهافت قال: غير صحيح، بل النصوص المتعلقة بالله يُفترض أن تقول إنها أعظم وأبعد عن التأويل، وهي أكثر، ونصوص الجنة والنار هي التي تقبل، فرد عليه في تهافت التهافت لأن منطلق الغزالي فيه ضعف، لأنه يقبل أن تكون هذه النصوص المتعلقة بالصفات تؤول، فقال ابن رشد أبدا لا تؤول كيف تُؤوّل؟ على كلامك إما أن تُتأوّل كلها ويُؤوّل باب الأحكام ويُتأوّل ما يتعلق الجنة والنار ويكون الباب واحداً كما تقول المتفلسفة، وإلا ما تستطيع أن تفرق.

ولذلك قلنا إنه قد نظمها ابن القيم عليهم.

لهذا نقول إن ردودهم فيها هذا الضعف، فسخر الله شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- ودمر الفلسفة.

المدمر للفلسفة هو شيخ الإسلام، الذين ردوا على الفلسفة من متكلمين وغيرهم فيه ردود قوية لكن الرد المفحم هو رد من لا يستطيع الفيلسوف أن يلزمه بلوازمه.

أما من يقول أنا أشترك وإياك في التأويل لكن أنت تريد أن تجعل التأويل في أمور تحبها وأنا أقول التأويل يطلق في كل هذه النصوص فما الفرق بيني وبينك؟

هذا مثل ما ذكرنا عندما قلنا إنه منطلق الرادين على أهل الفلسفة وعلى الزنادقة هؤلاء من القرامطة وغيرهم أنه منطلق كان فيه ضعف ومع ذلك لا شك أنه مقالة المتكلمين أقوى وفيها ردود جيدة من بعض الزوايا، لكن إشكالها مثل ما ذكرنا في المواضع المشتركة التي يتفق معها هؤلاء وسلموها، سلموا لوازم للمتفلسفة، فلما سلموا هذه اللوازم ألزمهم الفلاسفة بها.

ثم يقول -رحمه الله تعالى-: مقالة الزنادقة هؤلاء من المتفلسفة القرامطة متناقضة في نفسها، لوكان الأمر كما يقولون إن الرسل كانت تُخاطِب الجماهير كما يُعبِّر عنه ابن سينا وغيره، ابن سينا والفارابي فيهم من معاداة الله ورسوله ما لا يحيط به كثير من الناس، كثير من الناس من علماء المسلمين يسمونه السيد الرئيس والشيخ الرئيس وهومن أخطر ما يكون، ابن سينا في تقريراته وكذلك الفارابي غاية في الخطورة، مقالات الفلاسفة الأوائل.

لا يؤمنون لا باليوم الآخر ولا الجنة ولا النار ولا أنه يوجد رسل ولا أن هناك وحيا ينزل ولا ملائكة، كل هذا -نسأل الله العفو والعافية-.

يقول شيخ الإسلام: لوكان الأمر كما تقولون معاشر المتفلسفة والقرامطة لكان الرسل الذين يخاطبون الجماهير كما تقولون يخبرون الخواص بالحقيقة فيقولون هذا فقط خطاب نوجهه للجماهير أما الحقيقة فنخبركم بها ،فيكون عند الخواص كأبي بكر وعمر يكون عندهم وهم الأقرب للنبي -عليه الصلاة والسلام- عندهم أن هذه الأمور على خلاف ما تفهمه الجماهير، يقول: الواقع أن الأمر بالعكس، فكلام السلف بدأ من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهم جميعا- ومرورا ببقية الصحابة والتابعين، هم أعظم الناس إثباتا، وكذلك أفاضل التابعين، وذكر عندك مثل هذه الأسماء التي كلها في إثبات الحق.

نعم

وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري ما يروى أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله فإذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغِرّة بالله، تأولوا ذلك على ما جاء من الإثبات، لأن ذلك ثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والسابقين والتابعين لهم بإحسان، بخلاف النفى فإنه لا يوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه.

في الحقيقة شـيخ الإسـلام يقول: هذا الخبر ليس له إسـناد ثابت باتفاق أهل المعرفة، قال: ولم يروَ في أمهات كتب الحديث المعتمدة.

مراد الشيخ أن مثل الهروي وابن عمار لما استدلوا به على من ينفون الصفات حملوا هذا الحديث في نظرهم لو صـح -وهو لا يصـح قطعا- أن أهل معرفة بالله إذا ذكروا الصـفات سـارع الجهال بردّ ما رواه أهل العلم فيها، فالإنكار لهذه النصوص لا يكون إلا من جاهل غر، هذا مراده.

نعم

وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السـلف في الإثبات ما لا يحصـي عدده إلا رب السـماوات، ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد إلا أن يكون من الأكاذيب المختلقة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم، ومن هؤلاء من يتمسك بمجملات سمعها، بعضها كذب وبعضها صدق، مثل ما ينقلونه عن عمر أنه قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما.

فهذا كذب باتفاق أهل العلم بالأثر، وبتقدير صـدقه فهو مجمل، فإن قال أهل الإثبات: كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته ما نقل عنهما: كان أولى من قول النفاة إنهما يتكلمان بالنفي.

هذا مراد الشيخ يعني مزيد رد، وإلا فهو يقول إن هذا كذب باتفاق أهل المعرفة

أن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- كان يتكلم ويكلمه أبو بكر، يقول عمر: كنت كالزنجي يعني كأني أعجمي لا أفهم ما يقولانه.

أولا: هذا كذب، ثم يقول لو قلنا إنه صحيح فالكلام هذا مجمل، كالزنجي بينهما أهل الإثبات ماذا يقولون؟ كأنهما يتكلمان في الإثبات، لماذا؟ لأن الوارد عن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- وعن أبي بكر هو الإثبات فلو فرضنا أن هذا له واقع لقيل إنهما يتكلمان في الإثبات لا يتكلمان في النفي.

نعم

وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قال حفظت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم.

فإن هذا حديث صحيح لكنه مجمل، وقد جاء مفسرا أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم والفتن، ولو قُدر أن فيه ما يتعلق بالصفات فليس فيه ما يدل على النفي.

بل الثابت المحفوظ من أحاديث أبي هريرة، كحديث إتيانه سبحانه يوم القيامة، وحديث النزول، والضحك وأمثال ذلك كلها على الإثبات، ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد من جنس قول النفاة.

نعم هؤلاء الآن يتشبثون بأي شيء، لاحظ، خبر موضوع يستمسكون به، جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: حفظت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جرابين يعني وعاءين من العلم، أما أحدهما فبثثته فيكم، يعني الأحكام والعقيدة، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم، ما مراده؟ يقول الشيخ: مراده جاء مفسرا في رواية أخرى أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم، ولهذا أبو هريرة بنفسه ذكر أشياء من هذا يعني كان يقول: أعوذ بالله من رأس الستين.

ما فيها رأس الستين؟ تولى فيها يزيد بن معاوية، أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، لأن يزيد لما أتى صار يعزل الكبار ويولى شبابا صغارا، فعزل النعمان بن بشير وولى الأحمق عبيد الله بن زياد الذي قتل جيشه الحسين وصار يتتبع الكبار، وليس المقصود الصبيان الصغار يعني في السابعة والسادسة، ما يتولون هؤلاء.

لكن كان هذا شأنه، ولهذا كان أبو هريرة يشير إلى هذا، أعوذ بالله أن تدركني رأس الستين، وكان يقول إشارة الى خلافة معاوية في المدينة: اللهم لا تدركني سنة الستين، وكان يمشي بهذا في الناس، ويْحَكم تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تدركني إمارة الصبيان.

رواه البيهقي في الدلائل، ومات أبو هريرة -رضي الله عنه- قبل ولاية يزيد.

هذا الذي يقول: لو بثثته لقطعتم حلقومي.

ولكن روى البخاري أن النبي -صـــلى الله عليه وســـلم- قال: «هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش» فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة.

يعني شباب صغار.. مَن صاروا؟ بعضهم ذريته، صار فيهم شيء من الشرّ.

ولا نقول جميعهم قطعا، بنو مروان فيهم وفيهم، يكفيك أن فيهم عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-.

القصـــد أن أبا هريرة يقول يعني الحديث والعقيدة قد بثثتها والدليل أنه روى أحاديث العقيدة، حديث إتيان الله -عز وجل- يوم القيامة، وأن الله ينزل وحديث الضـــحك، وأمثال ذلك من الأحاديث رواها أبو هريرة، فلم يكن أبو هريرة يخفي جرابا يتعلق بالعقيدة.

يقولون: هو يقصد النفي، كيف يقصد النفي ويروي أحاديث الإثبات والصفات، لكن يقول لو أني بثثت هذا قتلتموني، طيب هذا الجراب هل هو من العلم الذي يتوقف عليه أمر العقيدة؟

أبدا ما يتوقف عليه، إنما هو من أمر الملاحم، وأمره مع ذلك كان يشير إليه، يمشي في سوق المدينة يقول:

اللهم لا تدركني سنة ستين سنة ستين.

لماذا؟ مات معاوية -رضـــي الله عنه- وتولى يزيد، هذا مراده، وإمرة الصـــبيان، لأن يزيد كان يفعل هذا، هذا الذي يخشى أنه لو بثّه أن يأتي من يقطع حلقومه ويقتله، هذا ومراده -رضي الله عنه-.

نعم

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون إن القرينة الصـــارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل، فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة، فيقال لهم:

أولا:

إذا كان ما تكلَّم به إِنَّما يُفيدُهم مُجرَّدَ الضَّلال وإنما يستفيدون الهُدى من عقولهم كان الرسولُ قد نصبَ لهم أسباب الضلال ولم ينصب لهم أسباب الهُدى فأحالَهم في الهُدى على نفوسهم، فيلزمُ على قولهم أن تركَهم في الجاهلية خيرٌ لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضرتهم.

هذا الآن أورد جواب النفاة.

يقولون: القرينة التي تصــرف هذه النصــوص كلها، ذكرنا أن العلو وحده له أكثر من ألف دليل، والأدلة بأنواعها يقولون هناك قرينة صــارفة لها، وهو العقل، وهذه حيلة العاجز، حيلة المفلس، يحيلك إلى غير مَحال.

طيب أنت الآن حين تقول العقل، أليس العقل أمرا مشــتركا؟ هل أنتم معاشــر المتكلمين من العقلاء وبقية الناس مجانين؟

العقل -يقول أهل العلم- مثل البصــر، أمر مشــترك، فلو قال أحد الآن: أنا أبصــر كذا، نظرنا لم نجد، يكون الخلل عندنا أو عنده؟ عنده هو.

عندنا مثلا مائة شخص كلهم يبصرون فلم يروا ما رأى، قال لا شأن لي بكم أنا أرى الآن أشياء ما ترونها، إن كنت مرسَلا من عند الله ترى ما لا يرى الناس لا إشكال لأنك ترى حقا، كما قالت عائشة -رضي الله عنها- لما قال: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: ترى ما لا نرى يا رسول الله».

الرسل وضعهم وضع آخر، لكن شخص يقول أرى أشياء لا ترونها، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في زمنه رجل يدعى ابن صياد، أتاه وكان من اليهود وكانت له أحوال غريبة، فقال -عليه الصلاة والسلام- له: «ما ترى؟» قال أرى يأتيني صادقان وكاذبان، أو كاذبان وصادقان، فقال: «لُبِّس عليه، خُلِّط عليه» هو يقول: أرى، قال: «وما ترى» قال أرى عرشا على البحر، قصده أنه يرى عرش الله قال -عليه الصلاة والسلام- «ترى عرش إبليس» لأن إبليس كما في الحديث الصحيح لأن إبليس يجعل عرشه على البحر ويبُث سراياه.

فالآن هذا الشــخص الذي يقول أرى، أحد أمرين إما أنه يكذب وإما أنه لُبِّس عليه، النبي صــلى الله -عليه الصلاة والسلام- والله لن تجد أعقل من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- لو تأتي بأذكى الناس إلى يوم القيامة سوى الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

فهُم كما قال الشافعي، وله كلام نفيس جدا في كتاب الرسالة، غير الرسالة المشهورة، الشافعي له رسالتان يقول في الصحابة -رضي الله عنهم- كلاما لو يُحفّظ حتى للصغار: هم فوقنا في كل علم وفي كل فضل وفي كل عقل وفي كل أمر اكتُسب به خير، الصحابة فوقنا في كل شيء من الأمور التي يحمد فيها.

المتأخرون ما الذي فاقوا به الصحابة؟ في التكلف.

يأتي الواحد يؤلف كتابا ألف صفحة يستطيع أن يضعه في عشر صفحات.

لولا التنافس في الدنيا لما وُضعت ** كتب التناظُر لا المُغني ولا العُمَدُ

يُحلِّلون بزعمٍ منهمُ عُقدًا ** وبالذي وضَعوا قد زادت العُقدُ

مثل ما قال ابن رجب في فضل علم السلف على علم الخلف، يقول: ما فاق المتأخرون المتقدمين إلا بكثرة الكلام ونفخ هذه الكتب، أما السلف فكان كلامهم -رضي الله عنهم- محدودا يحوي علما جما.

إذن فالصحابة -رضي الله عنهم- والسلف -عليهم الرضوان- هم فوقنا في كل علم، وهُم المقدمون بدلالات النصوص، ولو لم يأتك إلا قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] خير أمة في كل شيء إلا في العقيدة؟ أساس خيريتهم في العقيدة أصلا، فعقيدتهم هي العقيدة الصحيحة المنجية فمن كان عنده اعتقاد غير اعتقاد السلف فقد خرج عن الخيرية في هذا الباب، فعليه أن يرجع إلى اعتقادهم حتى يلحقهم في الخيرية، فهم خير أمة أخرجت الناس بنص القرآن، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» ماذا قال بعدها؟ الذي ذكرنا لكم «ثم يأتي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»

تلاحظ النصوص في ذم المتأخرين «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» فالمدح كل المدح للسلف في كل شيء -رضي الله تعالى عنهم-.

أصبح علامة من علامات أهل الحق يصبح ويمسي منذ شبابه إلى أن يموت يقول: السلف السلف السلف السلف.

نعم هذا المذهب الحق، وهم الذين أنجاهم الله تعالى باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم-، فالمخالف لهم هالك، فإن اراد النجاة فليلحق بركب السلف -رضي الله عنهم- وكل شخص يأتي ببلية وببدعة لا بد أن يكسوها بكساء، فما ثمة أحد يقول: تعالوا اتبعوني في الهوى الذي عندي.

هواك؟ تريد أن نتبع هواك؟ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]

لا، يقول هذا عقل.

يقول الله بيانا لحقيقة الحال ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] لا عقولهم أو كشوفهم وأذواقهم، بل أهواءهم، هذا يسميه هو بالكشف وذاك يسميه بالعقل وهذا يسميه الواقع والقرن الحادي والعشرين، يسميه كما شاء، هو على باطل وعلى ضلال.

وكل زمن عافانا الله وإياكم فيه بلية فيه فتنة، تأتي فتنة الفلسفة فتجرف أقواما كثيرين، تأتي فتنة المتكلمين، فكذلك فتنة زائغي المتصوفة فكذلك، ويتبعها من يتبعها، وكل أحد يكسو باطله بغلاف يزينه به، ومنه قولهم: العقل.

فيقول الشيخ: الآن كل ما قلنا لكم ما الدلالة قلتم دلت الدلالة العقلية، العقلية هذه الان أخذتموها عن أعقل الأمة، رسول الله وأصحابه؟ أم أنتم أخذتموها من هوى ركبتموه من مقتضيات الفلسفة؟

هذا هو الواقع.

لهذا يقول الشيخ: إنهم يقولون إن دلالة العقل دلت على هذا، وأنا نستفيد هذا من عقولنا، يقول الشيخ: إذا كان الأمر كذلك وأنتم تستفيدون الهدى من عقولكم، ما الفائدة من بعثة الرسُل -عليهم الصلاة والسلام-؟

أنتم على كلامكم أن النصوص هذه من اعتقد ما فيها فإنه يضل، حتى يقول الصاوي: من أصول -ليس من أصول الدين- من أصول الكفر الأخذ بظواهر النصوص!

هل أحد يصدق أن شخصا يشهد أن لا إله إلا الله يقول هذا الكلام؟

من أصول الكفر الأخذ بظواهر النصوص، بدل أن تقول: من أصول الإيمان الأخذ بظواهر النصوص، تقول من أصول الكفر!

لأجل ذلك هم يحاربون ظواهر النصوص التي بيّن السلف الصالح أن المدلول السليم لها على ظاهره ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]

فيقول الشيخ: إذا كانت الأمور راجعة إلى ما تسمونه بعقولكم، وعقولكم هذه فيها خلاف ما دلت عليه النصوص، فعلى هذا تكون النصوص قد نصبت أسباب الضلال ولم تنصب أسباب الهدى، وعلى هذا فترك الناس على جاهليتهم خير من إيجاد رسالة وبعث الرسل، لأنكم تقولون -على سبيل اللزوم وإلا فلا أحد يقوله- تقولون هذه النصوص ضرت وأبعدت عن الهدى، قال: فكان الأولى أن يُترك الناس على الجاهلية، لماذا؟ لأن كل واحد يرجع إلى نظرته وإلى معقوله، وكانت الفلسفة اليونانية ضاربة أطنابها وإن لم تعرفها العرب لكن تعرف أمم كثيرة جدا الفلسفة، وكانت موجودة أوضاعها وكان يقررون هذا ما دل عليه العقل، موجودة كتابات سقراط وأفلاطون وغيرهم، فإذا كان ما دل عليه القرآن خلاف ما قررتموه وقلتم دلتنا عقولنا، إذن ما الحاجة إلى بعثة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

هذا الوجه الأول

نعم

ويقال لهم ثانيًا: فالرسول -صلى الله عليه وسلم- قد بيَّن الإثبات الذي هو أظهر في العقل من قول النفاة مثل ذكره لخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الأمور التي تُعلم بالعقل أعظم مما يُعلم نفي الجهمية، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات، فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو أخفى

وأدق وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده، ومن نسب هذا الى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فالله حسيبه على ما يقول.

يقول: الرسول -صلى الله عليه وسلم- بيّن الإثبات الذي هو أظهر في العقل، نقول: تعال نقلب عليك المسألة، والله إن العقل يدل على إثبات الصفات لأن الصفات كمال، صفات فيها تعظيم لجبار السماء والارض الذي يعلم ما توسوس به النفس، هل تدري أن في النفاة من لا يثبت العلم لله؟

فإذا نفى عن الله تعالى العلم يقول دلّني على هذا عقلي، أي عقل هذا؟ عقل فارغ خبيث ينفي عن الله صفات الكمال، حتى إن الجهم بن صفوان -قاتله الله- يقول: لا أثبت لله تعالى أي صفة تثبت للمخلوق

تعرف ما معنى هذا؟ المخلوق موجود أم غير موجود؟ قال: لا أثبت لله الوجود، لأني لو أثبتّ له الوجود لشبهته بالمخلوق.

عرفت لماذا قال السلف إنه زنديق؟ قالوا إنه يتخذ التنزيه ستارا، فقال: المخلوق موجود فأنا لا أصف الله بالوجود لأني لو نسبتُ الوجودِ لله لكان مُشابهًا للمخلوق، طيب ما الحل عنده؟ قال أنفي الوجود حتى لا أُشبهه بالمخلوق، لهذا قال السلف إنه زنديق وإنه قُتل على الزندقة، هو يريد أن يجعل التنزيه ستاراً.

ويأتينا كلام السلف: إنما يريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء، يعني يريدون نفي وجود الله، هذا المراد لكنهم يتخذونه بمثابة السُلم، يقولون نعظم الله ننزه الله لا نقول في الله مثل هذا الكلام، هذا هو مرادهم.

إذن هذه هي الطريقة، والحقيقة أن العقل دل على عكس ما تقولون، بل العقل يدل على تعظيم الله -عز وجل- وأن هذه الصفات صفات كمال ينبغي أن تثبت لله تبارك وتعالى، يقول: فدلالتها أظهر في العقل من قول النفاة، مثل ذكر الله لخلقه وقدرته ومشيئته وعلمه، هذه يثبتها العقل وأن هذه من صفات الكمال، من الأمور التي تُعلم بالعقل أعظم ما يُعلم نفي الجهمية.

فقلب عليهم الدليل، يقولون: نحن لدينا دلالة العقل، نقول: العقل السليم الصحيح دل على إثبات هذه الصفات عكس ما تقولون.

نعم

والمراتب ثلاث:

إما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما، ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل، وهنا يُعرف بالعقل أن الإثبات لم يسكت عنه بل بيّنه، وكان ما جاء به السمع موافقا للعقل، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل، وإذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه أسلم للأمة.

أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات وأراد منهم أن لا يعتقدوا إلا النفي لكون مجرد عقولهم تعرّفهم به: فإضافة هذا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أعظم أبواب الزندقة والنفاق.

نبيّن الوجه الثاني هذا بإيجاز، يقول شيخ الإسلام: المراتب ثلاثة، إما أن يتكلم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو تتكلم النصوص بما هو هدى، وإما أن يتكلم بما هو ضلال، أو يسكت.

ومعلوم أن السكوت خير من التكلّم بالضلال، وهنا يُعرف بالعقل -الآن استدل عليهم بالدليل العقلي- أنّ الإثبات هو الموجود في النصوص، لم تسكت النصوص، بل النصوص أثبتت بل بيّنت النصوص وكان ما جاء به السّمع موافقا للعقل كما قلنا، السّمع يعني مرادهم أدلة الوحيين الكتاب والسّنّة، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، إذا كانت دلالة العقل تدل على نفي هذه الصفات أن تأتي النصوص نافية كما فعل في ما يثبته العقل.

إذا لم يفعل فالسكوت.

يعني إما أن النصـوص تكلمت بالحق وإلا على الأقل لا تتكلم، تسـكت، ومعلوم أنها تكلمت بالحق، إذا لم تفعل فالسكوت أسلم للأمة، أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات وأراد منهم ألا يعتقدوا إلا النفي، يقول إن النصـوص كلها تدل على الإثبات إثبات العلو وإثبات الاسـتواء، لكن أراد نفي العلو ونفي الاسـتواء لمجرد عقولهم، فإضافة هذا للرسول -صلى الله عليه وسلم- من أعظم أبواب الزندقة، إذا قال أحد إن النبي -عليه الصـلاة والسـلام- نعم أمرهم بإثبات العلو وأمرهم بإثبات الاسـتواء لكنه في الحقيقة كان يقصـد نفي العلو ونفي الصـفات فمعنى ذلك أن القرآن وأن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- يُضـلل الأمة، فيقول الكلام الذي حقيقته ضده، وهذا لا شك أنه أبعد ما يكون عن الهدى، والله أعلم.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

ويُقال لهم ثالثا: من الذي سلّم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة؟ بل العقل الصريح إنما يوافق ما أثبته الرسول، وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلاً، وقد بسطنا هذا في مواضع، وبيّنا أن ما يذكرونه من المعقول المخالف لما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما هو جهل وضلال تَقَلّدَهُ متأخروهم عن متقدميهم، وَسَمَّو ذَلِكَ عَقْلِيَّاتٍ وَإِنَّمَا هِيَ جَهْلِيَّات.

نعم

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هكذا قلَبه عليهم، يقول: من الذي قال لكم إن هذا الذي تقررونه من مذهب النفاة هو الذي دلَّ عليه العقل؟ العقل الصريح يوافق ما أثبتته النصوص، هذه جهليات تلقيتموها عمن قبلكم، ومثل ما قلنا في قوله -عز وجل- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]

هوى وجهل كسوه بكساء العقل وقالوا إنه قد دل عليه، وكل شخص عند باطل قلنا لا بد أن يكسو باطله بشيء يصبغه من التعظيم والتهويل لهذا القصد.

نعم

ومن طُلب منه تحقيق ما قاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع إلا إلى مجرد تقليدهم، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليدا لمن توهموا أنه عالم بالعقليات، وهم مع أئمتهم الضُلال كقوم فرعون معه حيث قال الله تعالى ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] وقال تعالى عنه

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ [القصص: ٣٩-٤٢]

أورد الآيتين المتعلقتين بفرعون.

قوله تعالى ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]

قوم فرعون من أشد الأمم عناداً للآيات، انظر قوله -عز وجل- فيما ذكر عنهم في سورة الأعراف ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٣]

ما معنى مفصلات؟

مفصول بعضها عن بعض، يرسل عليهم الطوفان ويبقى مدة، يأتون لموسى ﴿يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] فإذا دعا موسى ربه الذي هم يجحدونه وكشف عنهم الرجز عادوا لباطلهم، فأنزل الله عليهم الآية الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة فكانوا ماذا يفعلون؟ يُعانِدون الآيات، لذا حسُن جداً استدلال الشيخ عليهم، لأن قوم فرعون كانوا يعانِدون الآيات التي أنزلها الله على موسى وهي الآيات الشرعية ويعانِدون آيات كونية جراد وقمل وضفادع ودم لكن ماذا فعلوا؟

حسّنوا ظنهم بفرعون فاستخفهم فأطاعوه، يقول: فكذلك أنتم، أنتم أحسنتم الظن بهؤلاء الضُلال قبلكم فاستخفوكم فأطعتموهم.

ثم أورد أن الحقيقة أن النفي الأشد هو عند فرعون، هو إمام المعطلة وإمام النفاة، هو الذي يقول: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]

لهذا سيأتي -عندما ذكر الآية هذه- سيأتي بالآيات الدالة على أنه من النفاة.

نعم

وفرعون هو إمام النفاة، ولهذا صرح محققو النفاة بأنهم على قوله كما صرح به الاتحادية من الجهمية النفاة.

أحد يصدق هذا؟ أحد يصدق تعظيم فرعون؟ أحد يصدق أن في الأمة أناسا يعظمون فرعون؟

نعم يعظمون فرعون ويُعظمون إبليس -نسأل الله العافية والسلامة- يقول الحلاج: ما في السماء موحد مثل إبليس، إمامي وأستاذي إبليس وفرعون.

انظر، الذين ضلوا باتّباع الحلاج، الحلاج الصوفي الحسين بن منصور وطائفته الاتحادية يعظمون فرعون ويجلون من أمره، ابن عربي معجب جدا من فرعون ويعظم فرعون في الفتوحات وفي الفصوص وفي غيرها ويقول إن فرعون ناجٍ في القيامة وإبليس ناجٍ في القيامة، سبحان الله العظيم.

شيء مُصادم لما يعرفه حتى صبيان المسلمين.

السبب ما هو؟ الآن ابن عربي، يقولون لا تتكلم في ابن عربي الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، طيب هذا الكلام؟ قالوا أنت ما تفهم كلامه، له معنى لا يدركه إلا الكُمّل!

يقول إمامي إبليس وفرعون، ويعظم من فرعون ويعض من إبليس.

فأنتم معجبون بهؤلاء الذين أطبقت الأمة على كفرهم، لا أحد يناقش في كفر فرعون ولا في ضلال إبليس.

فهؤلاء الآن يعظمون من شأن فرعون، مثل الحلاج الصوفي وابن عربي، ثم إذا تكلمت فيهم قالوا تتكلم في أولياء الله!

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لما تكلم في ابن عربي وابن الفارض مع أن ابن عربي كفره علماء الشافعية والحنابلة والمالكية والحنفية، كلهم كفروه، فلما تكلم حملوا حملة عظمى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أنه يتكلم في هذا الولي من أولياء الله.

أي ولي؟ هذا من أولياء الشيطان.

ومع ذلك يعظمون مثل هؤلاء، يعظّم من شأن فرعون ومن شأن إبليس.

فلهذا الشيخ قال: صرح محققو النفاة بأنهم على قول فرعون.. قد يستغرب طالب العلم، هل يمكن أن يمدح أحدٌ فرعون؟! نعم، ولهذا قال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]

نعم

إذ هو أنكر العلو وكذب موسى فيه وأنكر تكليم الله لموسى، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]

والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه قد أنكر الصانع بلسانه فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] وطلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أن إلهه فوق لم يقصد ذلك، فإنه هو لم يكن مقرا به، فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى، فلا يقصد الاطّلاع ولا يحصل به ما قصده من التلبيس على قومه بأنه صعد إلى إله موسى في السماء ولكان صعوده إليه كنزوله إلى الآبار والأنهار وكان ذلك أهون عليه فلا يحتاج إلى تكلف الصرح.

هذه الآية سبحان الله العظيم مع أنها من أظهر الأدلة على ما قال الشيخ، أن فرعون منكر للرب أصلا.

لمّا جاءت هذه الآية قالوا: من أثبت العلو فإنه مثل فرعون، لأن فرعون يثبت العلو، انظر الأدلة العجيبة، سبك الدليل كيف يكون.

أولا: فرعون هل يثبت الرب؟ فكيف ينفي العلو؟

يعني هو يقول أنا أنفي الرب وأثبت له العلو؟

ثم هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يتأملون، كما قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] ماذا يقول فرعون؟ فأطلع إلى إله موسى، الإضافة هذه ماذا يقصد بها؟ هل ورد لها نظير في القرآن في كلامه أو في كلام قومه؟

هذه الإضـــافة هي مبدأ الرد على النفاة، فهم أضـــافوا الربوبية لموســـى، قوم فرعون أضـــافوا ربوبية الرب لموسى، قالوا إله موسى؛ لأن موسى أعلمهم أن ربه في العلو، ولذا كانوا يخاطبون موسى بذلك.

تأمل ما صـــنعوه لما وقع بهم الرجز، ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] وهنا ماذا يقول؟ ﴿إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨]

﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦٨] مضاف ومضاف إليه، إله موسى، وكذا قوله ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]

هنا يقول فرعون ﴿إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] فلما أعلمهم موسى أن الله قادر على كشف الرجز قالوا ادعُ لنا ربك، ولما أعلمهم أن ربه في السماء طلب فرعون بزعمه حتى يلبس على قومه الذين قال تعالى ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]

فقال ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحَا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]

يقول الشـــيخ: فرعون أنكر الرب أصـــلا فلم يكن مقرًا به، هذا مهم في الرد لأن الجهلة من المتكلمين قالوا: إنكم إذا قلتم إن الله تعالى في العلو فقد اعتقدتم عقيدة فرعون.

فمبدأ الرد أن فرعون أصلا لم يكن يقر بالرب، يقول ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] فما الذي حمله على أن يقول ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] كما قال الطبري وابن كثير والمفسرون، قالوا: لأن موسى أعلمه أن ربه في السماء، فقال لهامان ابن لي هذا الصرح حتى أتطلع إلى هذا الذي يقول موسى..

ماذا قال بعدها؟ ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]

هذا هو، إذن هو كان لا يقر أصلاً بوجود الرب، فمن عجيب هؤلاء المتكلمين وعجيب استدلالاتهم أن قالوا: إن الذي يقر بأن الله في العلو فقد اعتقد عقيدة فرعون لأن فرعون يعتقد أن الله في العلو.

يعتقد أن الله في العلو وهو يجحد الرب؟ لكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

نعم

ونبينا -صلى الله عليه وسلم- لما عُرج به ليلة الإسراء وجد في السماء الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف ثم في الرابعة إدريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى وإبراهيم، ثم عرج إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة، ثم رجع إلى موسى فقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك.

قال فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف لأمتي، وذكر أنه رجع إلى موسى ثم رجع إلى ربه مرارا، فصدق موسى في أن ربه فوق السماوات، وفرعون كذّب موسى في ذلك، والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال.

انظر الرابط -سبحانه وتعالى- انظر الرابط العجيب، موسى -عليه الصلاة والسلام- لما كان في السماء السادسة، ونزل النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال كم فرض عليك ربك فقال: خمسين صلاة، وقال ارجع إلى ربك، لأنه قال لفرعون إن إلهي في السماء..

قال؛ ففرعون كذّب موسى في أن الله تعالى في السماء، فأنتم أتباع لفرعون والمثبتون لكون الله في السماء هم أتباع لآل إبراهيم وفيهم موسى وفيهم محمد -صلى الله عليه وسلم-.

نعم

وأهل السنة والإثبات موافقون لآل إبراهيم أئمة الهدى وقال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧-٢٨]

[الشيخ: الآية التي عندنا أقرب للدلالة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣]]

وموسى ومحمد من آل إبراهيم بل هم سادات آل إبراهيم -صلوات الله عليهم أجمعين-.

الوجه الثاني في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات وعلو الله على السماوات أن يقال:

من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء، وأن معرفة ما يستحقه الله وما ينزّه عنه هو من أجلّ أمور الدين وأعظم أصوله، وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء، فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يفصله ولم يعلّم أمته ما يقولون في هذا الباب.

وكيف يكون الدين قد كمُل وقد تُركوا على الطريقة البيضـــاء وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم، أبما تقوله النفاة أو بأقوال أهل الإثبات؟

هذا قريب من السابق، لكن لما فرغ من الكلام على الوجه الذي قبله، وهو تابع، انتقل إلى الوجه الثاني.

كل ما تقدم من الصفحات كله في الوجه الأول، الآن بدأ في الوجه الثاني.

فيه قريب مما تقدم، أن الله تعالى لا يمكن أن يكون دينه قد كمُل إذا كان أعظم باب في الدين وهو باب معرفة الله لم يوضّـح، فالربط مؤكد بين كمال الدين وبين بيان أعظم أبواب الاعتقاد، فإذا كان الدين كاملا فلا بد أن باب الاعتقاد وباب الاعتقاد في الله أنه مبيّن، وإن قلت لا، إن باب الاعتقاد لم يبيّن في الدين: فلا يمكن أن يكون كاملا.

نعم

الوجه الثالث: أن يقال: كل من فيه أدنى محبة للعلم أو أدنى محبة للعبادة لا بد أن يخطر بقلبه هذا الباب ويقصد فيه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يُتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يســألون عنه ولا يشــتاقون إلى معرفته ولا تطلب قلوبهم الحق وهم ليلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم إليه ويدعونه تضـرعا وخيفة ورغبا ورهبا ،والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم بهذا ومعرفة الحق فيه، وهي مشــتاقة إليه أكثر من شــوقها إلى كثير من الأمور، ومع الإرادة الجازمة والقدرة يجب حصــول المراد، وهم قادرون على سؤال الرسـول -صـلى الله عليه وسـلم- وسـؤال بعضـهم بعضـا، وقد سـألوه عما هو دون هذا.

هذا الوجه في أن أي أحد عنده همة وأدنى محبة للعبادة والعلم لا بد أن يشـتاق إلى معرفة ما يتعلق بالرب -سبحانه وتعالى-، فهذا الخشوع والخضوع والإنابة والتقوى لا يمكن أن تنشأ مع جهل بباب الاعتقاد في الله -عز وجل-، لأن هذه الأعمال القلبية من الخشـوع والتقوى مترتبة على العلم بالله -عز وجل-، فكل من له حظ من العبادة أو نصيب لا بد أن يكون مشتاقا إلى معرفة هذه الأبواب العظام.

ثم هم -رضي الله عنهم وأرضاهم- قد سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أمور كثيرة جداً ليست أهم من هذا الباب الأعظم، فكيف لا يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- لو كان الباب ما بُيّن ولا وُضح، كيف لا يسألونه عنه؟ لكنه مبيّن وموضح.

نعم

سـألوه هل نرى ربنا يوم القيامة فأجابهم، وسـأله أبو رزين أيضـحك ربنا؟ فقال نعم، فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا.

ثم إنهم لما سـألوه عن الرؤية قال: «إنكم سـترون ربكم كما ترون الشـمس والقمر» فشـبّه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، والنفاة لا يقولون يُرى كما تُرى الشـمس والقمر، بل قولهم الحقيقي أنه لا يُرى بحال، ومن قال يُرى موافقةً لأهل الإثبات ومنافقةً لهم فَسّر الرؤية بمزيد علم، فلا تكون كرؤية الشمس والقمر.

والمقصـود هنا أنهم لا بد أن يسـألوه عن ربهم الذي يعبدونه، وإذا سـألوه فلا بد أن يجيبهم، ومن المعلوم بالاضـطرار أن ما تقوله الجهمية النفاة لم يُنقل عن أحد من أهل التبليغ عنه، وإنما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الإثبات.

يقول إن الصحابة -رضي الله عنهم- سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- هل نرى ربنا؟ وسأله أبو رزين أيضحكُ ربنا؟

وقال لهم -عليه الصلاة والسلام- لما سألوه هل نرى ربنا؟ قال «سترون ربكم كما ترون الشمس..» إلى آخر الأحاديث، فشبه الرؤية نفسها بالرؤية، لا المرئي وهو الشمس القمر بالله -عز وجل-، ليس تشبيها للشمس بالله -معاذ الله- لكن شبه الرؤية.

هذا يدل على أن الرؤية تكون إلى العلو، لأن الشمس والقمر في العلو، هذا المعنى، هذا وجهه.

قال: الذين يقولون نحن نثبت الرؤية منهم يقولونه مُنافَقة، لأنه إذا قيل: ما الرؤية التي تُثبتون؟ يقولون نثبت مزيد العلم.

هذه مقالة المعتزلة أصلا، وقالها المتأخرون من الأشعرية، قالوا: نحن نثبت الرؤية، وأنه يجب إثبات الرؤية والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنكم سترون ربكم».

نقول: ما شاء الله هذا مكسب، ما الرؤية التي تثبتون؟ قالوا نقصد مزيد علم.

إذن تأولتم الرؤية وقلتم إنّا نُثبت مُنافَقة، وليس على سبيل الحق، ولكن مثل ما قال: من يقول هذا منهم منافَقة لأهل الإثبات فقد فسروا الرؤية بمزيد العلم، وهذا لاشك أنه من العبث بالنصوص كما قلنا.

نعم

الوجه الرابع أن يقال: إما أن يكون الله يحب منا أن نعتقد قول النفاة أو نعتقد قول أهل الإثبات أو لا نعتقد واحدا منهما، فإن كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة، وهو أنه لا داخل العالم ولا خارجه وأنه ليس فوق السماوات رب ولا على العرش إله، وأن محمدا -صلى الله عليه وسلم- لم يعرج به إلى الله وإنما عرج به إلى السماوات فقط لا إلى الله، وأن الملائكة لا تعرج إلى الله بل إلى ملكوته وأن الله لا ينزل منه شيء

[الشيخ: لا ينزل منه أي لا ينزل من عنده شيء، كالوحي، قال الله تعالى في شأن القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤] مثل ما تقدم الدليل من أدلة إثبات العلو أن الذي يأتي من جهة الله تعالى يقال بنزوله، والذي يكون إلى جهة الله تعالى يقال بصعوده، كل هذا دليل على إثبات العلو]

ولا يصــعد إليه شــيء وأمثال ذلك، وإن كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها إجمال وإبهام وإيهام، كقولهم ليس بمتحيز ولا جســم ولا جوهر، ولا هو في جهة ولا مكان، وأمثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص، ومقصـدهم بها أنه ليس فوق السـماوات رب ولا على العرش إله يُعبد ولا عُرج بالرسول إلى الله.

يعني هذه العبارات التي يقولونها يقولون ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا عرَض، ماذا يريدون بها؟

يريدون بها النفي، ويجعلون الصفات من أثبتها فإنه قائلٌ بهذا.

هذه العبارات تسمى عند أهل العلم عبارات مجملة، فيقال: هذه العبارات لم يرد نفيها في النصوص ولم يَرِد إثباتها، فنسـتفصـل منكم ونقول: ماذا تريدون بهذه العبارات؟ فإن أردتم بها معنى صـحيحا نقول لكم: عبروا عن المعنى الصحيح باللفظ الوارد في الشرع ولا تأتوا بعبارات مجملة موهمة يمكن أن تُفهم بكذا ويمكن أن تُفهم بكذا.

وإن أردتم معنى باطلا كنتم قد ابتدعتم مرتين، رددتم المعنى الحق واســتعملتم هذه العبارات المبتدَعة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولهذا فهذه العبارات لا تُثبت ولا تُنفى، لا تُثبَت لأنها لم تَرد في النصــوص إثباتـًا، ولا تُنفى لأنها لم تَرد في النصوص نفيـًا.

ماذا يُفعل؟ يســتفصــل من قائلها ماذا تريد؟ لأنه بعض الأحيان يريد أن يقول لك: إن الله تعالى ليس كذا وليس كذا فتظن أنه يعظم الله، لكن يقصــد أنه تُنفى عنه الصــفات، فلهذا لا بد من أن يكون هناك شــيء من التحرز في مقالاتهم والتفصيل.

نعم

والمقصود أنه إن كان الذي يحبه الله لنا أن نعتقد هذا النفي فالصحابة والتابعون أفضل منا، فقد كانوا يعتقدون هذا النفي، والرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يعتقده، وإذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو إما واجب علينا أو مستحب لنا فلا بد أن يأمرنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما هو واجب علينا ويندبنا إلى ما هو مستحب لنا، ولا بد أن يظهر عنه وعن المؤمنين ما فيه إثبات لمحبوب بالله ومُرضيه وما يقرّب إليه، لا سيما مع قوله -عز وجل- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]

نعم، أصل الوجه هنا يقول: الأمور بين ثلاثة أحوال:

إما أن الله يحب أن نعتقد قول النفاة من الجهمية وأمثالهم، أو أنه تعالى يحب أن نعتقد قول أهل الإثبات من الصحابة ومن سار معهم، أو يحب أن لا نعتقد واحدا منهما.

لا بد من أحد هذه الأمور الثلاثة.

فإن كان الله تعالى قد طلب منا اعتقاد قول النفاة ،قول لا داخل العالم ولا خارجه وأنه ليس فوق السماوات إلى آخر هذه العبارات، وتأويل حتى العروج، العروج قلنا إنه واضح الدلالة فيما فصّلناه، وتأويل العروج ونفي أن يكون الله ينزل من شيء وأنه يكون يصعد إليه شيء وأن الصواب في العقيدة أن يقال: ليس بمُتحيز ولا جسم ولا عرض ولا جوهر، ثم هم أنفسهم مختلفون في حقيقة الجوهر والعرض، إن كان الله تعالى يريد منا أن يُعبّر بمثل هذه العبارات التي يوهمون بها العامة أنهم يقصدون بها تنزيه الله -عز وجل- وأن الله تعالى ليس فوق السماوات وأن الله -عز وجل- كل ما ذكره من الأمور الدالة على الإثبات فالله يريد منا أن نعتقد خلافه، فمعنى ذلك أن الذي يحبه الله لنا أن نعتقد هذا الباطل، والصحابة والتابعون -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- قد اعتقدوا خلاف هذا النفي، والرسول -صلى الله عليه وسلم- قد اعتقد خلاف هذا النفي ،فإذا كان الله يحب أن نعتقد قول هؤلاء النفاة فيكون واجبا علينا أو مستحبا، فالمفترض أن يأمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- به لأن ذلك مشروع من دينه، إما أن يكون واجبا وإما أن يكون مستحبا، ولا بد أن يظهر في

صـحابته -رضـي الله عنهم- أما أن الواقع هو العكس أن يعتقد النبي -صـلى الله عليه وسـلم- وأن تعتقد الصحابة -رضي الله عنه- وسلم خلاف قول النفاة فلا يمكن أن يحب لنا الله تعالى قول النفاة مطلقا، بل لا بد أن يكون الله قد أحب لنا القول الذي بعَث به نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

نعم

لا سـيما والجهمية تجعل هذا أصـل الدين، وهو عندهم التوحيد الذي لا يخالفه إلا شـقي، فكيف لا يُعلّم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمته التوحيد وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين.

والفلاسـفةُ والمعتزلةُ ومن اتبعهم يُسَـمّون مذهب النفاة التوحيد، وقد سـمى صـاحب المرشـدة أصـحابه الموحدين.

المرشـدة صـاحبها ابن تومرت، ابتُليت به بلاد المغرب ووضـع لهم عقيدة على مذهب المعتزلة، قائمة على نفي الصفات، ويسمي جماعته الموحدين، لماذا؟ لأنهم ينفون الصفات.

أي توحيد هذا؟ فالمعتزلة تُسمي ضمن الأصول الخمسة التي عندهم: التوحيد.

ما شاء الله! التوحيد أمر طيب، يقول لك: المقصود بالتوحيد نفي الصفات.

والشرك ما هو؟ قال: إثبات الصفات، فإذا أثبتّ الصفات تكون مشركا، طيب كيف أتخلص من الشرك؟ انفِ الصفات التي أثبتها الله.

لذلك قلنا إنهم يكسـون هذه العقيدة الفاسـدة بعبارات طيبة، قلنا: التوحيد جيد، يقول لك: الأمر المعروف والنهي عن المنكر، هل هناك أحد لا يحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: لا، هو الخروج على الولاة بالسيف.

طيب لماذا لا تُعبّر بالتعبير الصحيح؟ قال لا، لا بد أن يكسوه بكساء يعبث به بهؤلاء الناس.

نعم

إذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد، وإذا كان كذلك كان من المعلوم أنه لا بد أن يبينه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقد عُلم بالاضطرار أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة، فعُلم أنه ليس بواجب ولا مستحب، بل عُلم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده.

وإن كان يحب منا مذهب الاثبات...

هذا الخيار الثاني، كل ما تقدم يقول: إن كان الله يريد منا ويحب منا مذهب النفاة، الآن سيأتي للثاني: إن كان الله يريد منا مذهب الإثبات.

نعم

وإن كان يحب منا مذهب الإثبات، وهو الذي أمرنا به فلا بد أيضا أن يبين ذلك لنا.

ومعلوم أن في الكتاب والسنة من إثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من إثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم، ونحو ذلك من الشرائع، فعلى قول أهل الإثبات يكون الدين كاملا والرسول -صلى الله عليه وسلم- مبلّغا مبيّنا.

هذا النتيجة الآن، يقول إن كان الله يريد ويحب منا أن نعتقد اعتقاد أهل الإثبات ،وقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بإثبات العلو والصفات أعظم مما فيها من إثبات الأحكام كالوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم ونحوها، لأن الآيات المتعلقة بالرب -عز وجل- أكثر بكثير من هذه الآيات، ونحن مأمورون باتّباع النصوص في جانب الأحكام العملية في الوضوء والتيمم والصيام وغيره ،وهذه النصوص

المتعلقة بالله أجل من هذه وأعظم؛ لأن الأحكام تُبنى على الاعتقاد، ثم إنها أكثر وأعظم صـــراحة منها، فلا شك أن الله يحب منا أن نعتقد الإثبات.

النتيجة ما هي؟ إذا قلنا بقول أهل الإثبات، قول أهل السنة، اتضح أن الدين كامل وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بلّغ ما أنزل الله تعالى إليه فتطّرد العقيدة بكمال الدين وتبليغ النبي -عليه الصلاة والسلام-، وإن قيل بقول النفاة فمعنى ذلك أن الدين لم يكمل والرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يبلغ.

نعم

والتوحيد عن السلف مشهوراً معروفًا، والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضـًا، والسلف خير هذه الأمة وطريقهم أفضـل الطرق، والقرآن كله حق ليس فيه إضـلال ولا دل على كفر ومُحال، بل هو الشـفاء والهدى والنور، وهذه كلها لوازم ملتزَمة ونتائج مقبولة، فقولهم مؤتلف غير مختلف، ومقبول غير مردود.

وإن كان الذي يحبه الله منا ألا نُثبت ولا ننفي...

هذا الخيار الثالث، يقول: إن كان الله يحب منا ألا نثبت ولا ننفي.. فتأتيك بقية كلامه...

نعم

وإن كان الذي يحبه الله منا ألا نثبت ولا ننفي، بل نبقى في الجهل البســيط، وفي ظلمات بعضــها فوق بعض، لا نعرف الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال ولا الصدق من الكذب، بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشـاكين الحيارى، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ،لا مصـدقين ولا مكذبين: لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعدم العلم بما يستحقه الله -سبحانه وتعالى- من الصفات التامات، وعدم العلم بالحق من الباطل، ويحب منا الحيرة والشك، ومن

المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال، وإنما يحب الدين والعلم واليقين، وقد ذم الحيرة بقوله تعالى ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧١-٧٢]

يقول: إذا قيل بالخيار الثالث، وهو أن الله تعالى أحب منا أن نبقى لا مع المثبتين ولا مع النافين، فمعنى ذلك أن الله أراد منّا الحيرة والتذبذب والاضطراب، فلا ندري هل الحق في الإثبات أو أن الحق في النفي، وفي هذه الحالة ماذا يكون الدين؟ لا يمكن أن يكون كاملا مطلقا؛ لأن الدين هدى ونور وشفاء.

فمعنى ذلك أن الدين ما رفع عنك الضلالة وبقيت في الضلال المبين الذي كنت فيه في الجاهلية، فبعد البعثة أنت في ضلالٍ كضلالك السابق، فكأن الرسالة لم يكن فيها هدى، وهذا الوجه واضح بطلانه قطعا، واضح جدا بطلانه، يعني لا بد من أحد وجهين، الوجه الثالث سيق على أنه إذا قيل بهذا أو بهذا فيَرِد في الذهن وجه ثالث، قال: لا شك أن الله لا يحب الجهل والشك والحيرة بل ذمها تعالى.

ولهذا قال تعالى ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١] إذن معنى ذلك أن هذا الوجه بعيد كل البعد؛ لأن الله تعالى يحب من عباده الهدى، ويحب من عباده الإيمان، وأن لا يبقوا متذبذبين حائرين.

نعم

وقد أمرنا الله تعالى أن نقول ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧]

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قام من الليل يصلي يقول «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ولهذا ماذا قال الله؟ ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]

كيف هُديَ المؤمنون؟ كيف هُدوا؟ بالنصوص.

وإلا فكما تقدم، قبلُ كانوا في ضلال مبين.

وفي هذا الدعاء العظيم «اللهم رب جبرائيل وميكائيل..» إلى آخره، إذا قام من الليل -عليه الصلاة والسلام-.

لذلك يُشرع لمن أراد أن يصلي من الليل أن يقول هذا الدعاء العظيم، أو الدعاء الآخر، والأحسن أن ينوع في قيام الليل بين أنواع ما ورد من الاستفتاحات.

وفي آخره: اهدني لم اختُلف فيه من الحق بإذنك.

لا يمكن أن يقال إن عدم الهداية لهذا السبيل أو هذا السبيل مما يحبه الله، معاذ الله من ذلك.

نعم

فهو -صلى الله عليه وسلم- يسأل ربه أن يهديه لما اختُلف فيه من الحق، فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف؟

وقد قال الله تعالى له ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]

وما يذكره بعض الناس عن أنه قال: زدني فيك تحيرا: كذبٌ باتفاق أهل العلم بحديثه -صلى الله عليه وسلم- بل هذا سؤال من هو حائر ويسأل المزيد من الحيرة...

مشكلة مثل هذه النصوص أن تجدها في كتب المتصوفة والمتكلمين وتعجب، عندك مثلا مسألة الشفاعة المعتزلة متكئة والإباضية، يقولون عندنا حديث «لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» عجيب، من أين أتيت بهذا الحديث؟ الحديث الصحيح ما هو؟ «شفاعتي لأهل الكبائر»

حديث موضوع مكذوب في كتب المعتزلة، كذبوا، قالوا: الدليل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يشفع لأهل الكبائر «لا تنال شفاعتي...» هذا حديث كذب.

وعندك المرجئة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أتاه وفد الطائف، فقالوا يا رسول الله هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «الإيمان مكمّل في القلوب زيادته كفر ونقصانه كفر» قالوا هذا هو الدليل.. حديث مكذوب.

يأتيك هذا الحديث: «اللهم زدني تحيّرا» مكذوب.

فمليئة عندهم كتبهم بهذه الأحاديث المكذوبة، ولا يدرون بالمكذوب.

من لطيف ما وقع لعبد الله ابن تيمية -رحمه الله-، كان يناقش رجلا في مسألة، فتدخل أحد هؤلاء..

قال: أما أنت فلا تدخل في نقاش، أنا أجمع لك أحاديث موضوعة وأخبار عنتر ولا تدري، أحاديث صحيحة... ما تدري بالموضوع من المكذوب من أخبار عنتر.

اترك الدخول في مسائل النصوص، لا تستطيع أن تُميز، ولهذا هم لا يعرفون، كما قلت لك، يأتي واحد منهم يفتح كتاب الموضوعات لابن الجوزي ويستدل بحديث منه، نقول هذا في كتاب اسمه الموضوعات!

فهم عندهم جهل هائل بالنصوص ومريع، وتخفى عليهم النصوص صحيحة، ثم يأتي الواحد منهم ويدلل بالنص المكذوب ويرد النص الصحيح الثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن هذا، هل يعقل أن يأتي أحد ويسأل الله أن يزيده حيرة؟

الحيرة مذمومة، ذكرها الله تعالى في أهل الكفر، ﴿حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١]

بل المؤمن يسأل الله أن يهديه لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، ثم يأتون لك بهذه الأحاديث الموضوعة، مليئة كتبهم بمثل هذا.

نعم

ولا يجوز لأحد أن يسأل ويدعو بمزيد الحيرة إذا كان حائرا، بل يسأل الهدى والعلم، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلالة، وإنما يُنقل مثل هذا عن بعض الشيوخ الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا، إن صح النقل عنه.

وقول هؤلاء الواقفة الذين لا يثبتون ولا ينفون وينكرون الجزم بأحد القولين يلزم عليه أمور...

الآن بدأ الكلام.. سواء كان هذا مما يروونه حديثا أو مما يروونه عن بعض الشيوخ، يعني عن الشبلي وأمثاله، الآن سيأتي الكلام على أمر الواقفة.

الوقف في الاعتقاد على نوعين، وقف حق مثل وقوف الخوض في كيفية الصفات، فنقف.

وهناك وقف مذموم، وهو الوقوف في الأمور التي حسمتها النصوص، إثباتا فيتوقف لا يُثبت، أو نفيا فيتوقف لا ينفي، فهذا لا شك أنه مذموم.

لذلك قال: هؤلاء الواقفة.

وهناك طائفة الواقفة أكثر ما يُطلق على الذين توقفوا في أمر القرآن فقالوا: لا نقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق، يقول: يلزم على هؤلاء الذين يتوقفون ويتحيرون، يلزم على قولهم مجموعة من اللوازم الفاسدة.

نعم

أحدها أن من قال هذا فعليه أن ينكر على النفاة فإنهم ابتدعوا ألفاظًا ومعاني لا أصــل لها في الكتاب ولا في السنة، وأما المثبتة إذا اقتصروا على النصوص فليس له الإنكار عليهم.

وهؤلاء الواقفة هم في الباطن يوافقون النفاة أو يُقرّونهم، وإنما يعارضـون المثبتة، فعُلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادَوا أهل السنة.

الواقع أن الواقفة في أصـلها فرقة من الجهمية، فلما دحر الله الجهمية على يد المتوكل العباسـي -رحمه الله- ونصر السنة وأهلها، التفّوا، وقالوا: نقول القرآن كلام الله ثم نتوقف فلا نقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق.

تفطّن لهم أهل السنة، كالإمام أحمد، الدارمي فيما بعد، وردوا عليهم.

قالوا أصــل نزاعنا معكم ليس بأن القرآن كلام الله، نحن وإياكم نقول القرآن كلام الله، لكن نحن نقول غير مخلوق وأنتم تقولون مخلوق، ونحن من قال القرآن مخلوق فهو كـافر واتفق على هـذا أهـل السـنة، فلما دحركم الله التففتم وأسقطتم أصل النقاش فقُلتم: القرآن كلام الله ونقف.

نحن وإياكم نقول: القرآن كلام الله من الأساس، والخلاف بيننا وبينكم ليس في أن القرآن كلام الله، الخلاف في أننا نقول: بل هو منزل غير مخلوق.

يقول: على كل حال الواقفة في حقيقتهم هم كما قال الإمام احمد: الواقفة جهمية.

لكنهم أرادوا الالتفاف، ولهذا اغتر بهم من اغتر ممن لم يفهم قولهم.

نعم

الثاني أن يقال: عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسوله.

فهذا القول باطل: أي قول النُفاة.

يعني أول كلام الشـيخ -رحمه الله تعالى- حتى يُعرف، أن يقال: عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسـوله، هذا يقرر فيه مسـألة عقدية، بعد ذلك قوله: بأن هذا القول باطل يعني قول هؤلاء، وليس أصـل القول: أن يقال عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله فهذا باطل، لا، عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسوله: هذا صحيح.

قال: فهذا القول -يعني قولكم أنتم يا معاشر الواقفة- باطل.

فينبغي أن تنتبه له في مقصده -رحمه الله-.

نعم

الثالث أن يقال: الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين، غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الإثبات يسكت، فأما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله -صلى الله عليه وسلم- فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكر على هذا العالم الجازم المستبصر المتبع للرسول، العالم بالمنقول والمعقول.

نعم يقول: المتوقف يقول أنا جاهل.

ما دمت جاهلا: اسكت، ولا تنصب لنفسك قولا، لأن هذا الآن -الجهمي- يصرح بالنفي، والسنّي يصرح بالإثبات، أنت تقول: أنا عندي قول، وهو أني ما أدري!

طيب إذا كنت لا تدري فاصمت، هذا المتوقف.

ولهذا جاء عن الإمام أحمد أن رجلاً قال: طلقت امرأتي على هيئة لا أدري ما هي! من يُجيبه؟ قال إذا دريتَ دريتُ أنا!

إذا كنت لا تدري كيف طلقت امرأتك، كيف أدري أنا؟ إذا دريتَ أنت دريت أنا، إذا عرفتني بطريقة تطليق المرأة أجبتك، أما أن تقول: طلقت تطليقا لا أدري ما هو، إذن كيف أفتيك؟

فهناك أحيانا بعض الأجوبة يحتاج السائل إلى التغليظ فيها.

جاء رجل لقتادة وقال: إني رأيت هذا في المنام يقذف ظِلّي!

قال أقِمه في الشمس واجلد ظِلّه!

الآن القذف ما له أساس، أنت أوقفه في الشمس وخُذ العصا واجلد الظل.

يعني بعض الأسئلة ومنها هذا الآن، يقول الواقف: أنا عندي قول.

في الحقيقة الآن للأسف كثير من الشباب الذين سقطوا في الإلحاد سقطوا فيه عن طريق من يسمى باللا أدرية، ومساكين يعني.. يظنون أن اللا أدرية جديدة وأنها ما شاء الله فكرة...

اللا أدرية من أسخف المقالات في زمن اليونان، وكثير من هؤلاء الذين ألحدوا -نسأل الله العافية- غالبهم لا أدري، كل لا أدري يقول: اسمعوا مني، أنا لا أدري هل الحق هذا أو هذا.

الذي لا يدري يسكت، فسواء كان التوقف هذا في مثل مقالات من ينتسبون إلى الإسلام أو في مثل هذه المقالات: الذي لا يدري جاهل، فليس له قول في الحقيقة؛ لأنه يقول أنا لا أدري هل الحق مع هذا أو مع هذا، طيب إذا كنت لا تدري اسكت، وليس قولك من الأقوال التي تُنسب إلى أحد، يعني ينبغي لمن لا يدري أن يسكت، وأن يتعلم حتى يدري، أما أن يقول أنا لي قول وهو أني لا أدري، إذا كنت لا تدري فكما قال أحمد -رحمه الله- إذا دريتَ دريتُ أنا.

نعم

الرابع أن يقال: السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، وقالوا بالإثبات وأفصحوا به، وكلامهم في الإثبات والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان، وكلام الأئمة المشاهير، مالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ،وأبي عبيد وأئمة أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد موجود كثير لا يحصيه أحد ،وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات، فإن السائل قال له يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وفي لفظ: استواؤه معلوم أو معقول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فقد أخبر -رضي الله عنه- بأن نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة، وهذا بعينه قول أهل الإثبات.

وأما النفاة فما يثبتون استواءً حتى تُجهل كيفيته.

انتبه يا أخي لهذه العبارة وافهمها، مهمة جدا في الرد عليهم، أعِد...

وأما النفاة فما يثبتون استواءً حتى تُجهل كيفيته.

يا إخوة الذي تُنفى كيفيته ما هو؟ الثابت أم لا؟ الشي، الثابت تُنفى عنه الكيفية.

طيب الذي لا يُثبت وليس له حقيقة أصلاً هل تُنفى كيفيته؟

هو ما له حقيقة أصلا، فدل على أن قول مالك: والكيف مجهول فيه إقرار بإثبات الاستواء، أما لو كان الاستواء لا يصح اعتقاده أصلا لكان قول مالك: والكيف مجهول يُعَد لغوا ما له معنى، لأنك أنت تنفي الكيفية عما هو ثابت، فإذا قلت لا، أنا لا أثبت الاستواء وكيفية الاستواء مجهولة!

هذا كلام باطل لغو، لهذا قال شيخ الإسلام في الحموية: فإن نفي الكيفية عما ليس بثابت لغوٌ من القول.

إذن قوله: والكيف مجهول فيه دلالة على أنه مثل ما قال، الاستواء معلوم ويُثبت، لكن لا تخوض في الكيفية، والسائل أصلا سأل عن الكيف ولم يسأل عن المعنى، ولو سأل عن المعنى لأجيب كما قلنا لكنه سأل عن الكيف، فقال: الكيف مجهول.

لأن الله تعالى هو الذي يعلم حقيقة صفاته تعالى، فكيفية الصفات علمها عند الله تعالى، مما استأثر الله تعالى بعلمه، أما المعنى فلا شك أنه معلوم.

طيب، نعطيكم شيئا واضحا يجعل حتى الجهمي لا يستطيع أن يحير جوابًا، مسألة من المسائل الدقيقة جداً في فروع الصفات ترى المُعطّل -الذي يعطى الصفات سواء كان من الجهمية أو غيرهم- خاراً ساجداً يبكي يقول: اللهم اغفر لي يبل الفرش يبكي بدموعه. ما معنى المغفرة التي سألت؟

معروفة أو غير معروفة؟ لو كانت غير معروفة ما بكيت هذا البكاء تسأل الله المغفرة.

أرأيت أنها معروفة؟ طيب قوله تعالى -اسمع أيها الجهمي- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨] خفت أو رجوت؟ يقول: خفت ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨] خفت أو رجوت؟ قال: رجوت، الآية الاولى فيها ما يستدعي الخوف والثانية فيها ما يستدعي الرجاء.

لماذا وُجد عندك الخوف الرجاء؟ لان الصفات ماذا؟

معلومة المعنى، ولو كانت غير معلومة المعنى لكان الخوف والبطش مثل الرحمة والمغفرة، فكونك أنت تسأل الله المغفرة والرحمة وتُلِح عليه دليل على أن لها حقيقة، وأنها كما فسرها السلف، ولو كان البطش والانتقام والقهر على غير المعنى المعروف لما أثرت فيك ولم خفت، ولكانت مثل حروف المعجم إذا قيلت، حروف متوالية ما تؤثر في الإنسان، كما لو قيل: ألف باء تاء ثاء جيم...

ما لها معنى هكذا، لكن لأنك تعرف أن لها معنى حقيقيا رجوت في الآيات التي فيها الرجاء وخفت في الآيات التي فيها الخوف، فهذا الموضع من المواضع... مثل ما قال الجويني في خطبته التي خطبها: إن الله تعالى لا يُثبت له العلو؛ لأن العلو يلزم منه السفل ولو لزم منه السفل...

قال الهمداني: دعنا من العلو والسفل وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال موحد يا الله إلا وجد ضرورة ترفعه إلى العلو.

قال اترك هذا التفلسف، العلو يلزم منه السفل والسفل كذا..

أخبرني عن هذه الضرورة.

فنزل الجويني أبو المعالي وقال: حيّرني الهمداني حيّرني الهمداني.

لأن هذا أمر فطري يجده كل أحد في نفسه، ولهذا من المقاطع اللطيفة جدًا، أحد الناس -جزاه الله خيرا- جاء بمجموعة من النفاة من الأشاعرة وغيرهم وهم يتكلمون عن الله -عز وجل- ويؤكدون على نفي العلو، وفي أثناء كلامهم يقول واحد منهم: ترجو الله، تسأل الله [يشير إلى السماء]

ألست تقول: الإشارة إلى الله كفر؟ هذه الفطرة، إذا تحركت الفطرة رغما عن الإنسان.

لذلك نزل الجويني لما خطب هذه الخطبة قال يلزم من العلو السفل، فنزل وهو يضرب رأسه ويقول: حيّرني الهمداني حيّرني الهمداني، يعني بهذا السؤال، فهي ضرورة من الضرورات، ما قال موحدٌ يا الله إلا وقد فُطر فطرة على أن يرفع نظره إلى السماء.

قالوا: الله جعل السماء قبلة الدعاء، من أين أتيتم بأن السماء قبلة الدعاء؟ ليفرّوا من هذا، لأن الإنسان لو رفع يديه إلى غير الله يدعو ماذا يكون؟ شخص رفع يديه يريد السماء ماذا يكون؟ إذا سأل السماء يكون مشركا، فدل على أنه إذا رفع يديه فإنما يريد الله، والدليل على هذا قوله: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا»

الإنسان يرفع يديه إلى الله -عز وجل-، ولو كان الإنسان يوجه يديه إلى السماء لكان مشركا بالسماء، فهذه مسائل ضرورية، ولهذا يصابون بالحيرة لهذا السبب، لأن الله فطَرهم وركّب في عقولهم، وجاءت النصوص جلية دالة على هذا ومع هذا ينازعون النصوص، الواحد منهم يحفظ القرآن كلما قرأ آية عزيزٌ حكيم، غفورٌ رحيم، سميعٌ عليم، كلها إثبات، لا هذه لها تأويل، وهذه لها تأويل..

ستستمرّ هكذا في معاندة هذه النصوص؟ لهذا يصابون بالحيرة.

نعم

بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أن الاستواء مجهول غير معلوم، وإذا كان الاستواء مجهولا لم يحتج أن يقال: الكيف مجهول، لا سيما إذا كان الاستواء منتفيا، فالمنتفي المعدوم لا كيفية له.

المنتفي المعدوم ليس له كيفية، لأنه غير موجود حتى تكون له كيفية، أما الذي له كيفية فأحد أمرين، إما أن يكون مخلوقا ندرك كيفيته، وإما أن يكون الله تعالى وهو الذي يقول ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فلا تدرك له كيفية سبحانه.

نعم

فالمنتفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال هي مجهولة أو معلومة، وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وأنه معلوم، وأن له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن، ولهذا بدّع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإن السؤال يكون عن شيء معلوم لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلومًا وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا، يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنه قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

هذا الآن يدل على أن مالكا يثبت، يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لأنه ما يعزب شيء عن علمه تعالى.

فمن الأمور المعلومة عند المالكية وغيرهم قول مالك هذا، أن الله في السماء، وإذا كان في السماء والله تعالى قد استوى على عرشه، ويقول لك: الاستواء معلوم: اتضحت عقيدة مالك.

وشيخ الإسلام يخاطب بهذه العقيدة أهل مُرّاكش، فلذلك ركز على كلام مالك -رحمه الله-.

نعم

حتى ذكر ذلك مكيٌ خطيب قرطبة في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك، ونقله أبو عمرو الطلمنكي وأبو عمر ابن عبد البر، وابن أبي زيد في المختصر، وغير واحد، ونقله أيضاً عن مالكٍ غير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم، مثل أحمد بن حنبل وابنه عبد الله والأثرم والخلال والآجُرّي وابن بطة وطوائف غير هؤلاء من المصنفين في السنة.

ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الإثبات.

والقول الذي قاله مالك قاله قبله ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخه، كما رواه عنه سفيان بن عيينة، وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجِشون كلاما طويلا يقررُ مذهب الإثبات ويرد على النفاة قد ذكرناه في غير هذا الموضع.

وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم، وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور، حتى أن علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا ،وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتُلَقّن لجميع المسلمين، لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد، ولم يرد

على ابن أبي زيد في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة، لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة، ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أنما قاله مخالف للعقل ،وقالوا إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فنّ الكلام الذي يُعرف فيه ما يجوز على الله -عز وجل- وما لا يجوز.

والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشعرية كأبي المعالي وأتباعه، وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية.

فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الإنكار، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات رادّون على الواقفة والنفاة، مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الأكبر المشهور: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: قد كفر، لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماواته، فقلت: إنه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء كفَر؛ لأنه تعالى في أعلى علّيين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وقال عبدالله بن نافع: كان مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

وقال معدان: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمه.

هذا الكلام في أمر المنقول عن مالك -رحمه الله تعالى- نقله شيوخ المالكية الكبار المعروفون، وأورد كلام ابن أبي زيد صاحب الرسالة -رحمه الله تعالى- وفيه نَصٌّه على أن الله تعالى بذاته فوق عرشه، لأنه يقول لك: نعم نقول إن الله تعالى فوق عرشه، ثم يؤول الفوقية، يؤول العلو، فقال ابن أبي زيد وغيره من أئمة السنة هو بذاته، يعني أنها فوقية حقيقية، أنه على العرش -سبحانه وتعالى-.

يقول: ابن أبي زيد ما قال إلا ما قاله أئمة الإسلام، والذين ردوا عليه ما ردوا عليه إلا من الوجهة الجهمية، ما رد عليه أحد من أهل السنة، وإنما قالوا إن ابن أبي زيد لا يحسن ما يسمونه بفن الكلام.

أوّلا: ما يسمى بالكلام ليس علما، وقد نص على هذا الشافعي -رحمه الله تعالى- وقال: لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم لم تدخل كتب الكلام؛ لأن الكلام ليس علما، ولو أن رجلا أوصى لأهل العلم في بلد لما دخل المتكلمون؛ لأن المتكلمين ليسوا علماء.

ونقل الإجماع ابن عبد البر وقوام السنة الأصبهاني الشافعي وغيرهما على أن المتكلمين لا يُعدون في العلماء.

فيقولون: ما فهم فن الكلام، فن الكلام هذا من أين أتيتم به؟ هو الذي قلنا أخذوه من مقتضيات الفلسفة اليونانية وأدخلوه في دين الله -عز وجل-، تماما كما أخذت الصوفية من المذاهب الشرقية جملة من التعبدات وأدخلتها في العبادات.

فكل هذا من الباطل، فكونك تظن أن من لم يُتقن ما يُسمى بالكلام، التسمية الصحيحة ليس علم الكلام، أهل السنة يقولون: ليس علما أصلا، وينقلون الإجماع على أن المشتغلين به ليسوا علماء، إنما العلم في الآثار والتفقه فيها، يعني في النصوص الواردة، وفي علمها والمعرفة بها.

فلهذا يقول: إن الذين أنكروا على ابن أبي زيد تلقوا عن مثل أبي المعالي الجويني، أبو المعالي الجويني في الحقيقة أضر المذهب الأشعري ضررا بالغا لا يعرفه كثير حتى من الأشعرية، كان المذهب الأشعري إلى حد ما عنده مجموعة من طبعا التأثر بابن كُلّاب، نعم ذم السلف ابن كُلّاب وشددوا عليه، لكن مع ذلك كان المذهب الأشعري أيسر حالا.

فلما جاء الجويني مال بالمذهب إلى المعتزلة.

ولذلك في بعض التقريرات ماذا يقول؟ يقول: قال أصحابنا -يعني أبا الحسن- وقالت المعتزلة، والصواب قول المعتزلة.

هكذا بصريح العبارة.

فمال بالمذهب الاشعري إلى المعتزلة جدا، وأثّر فيهم تأثيرا بالغا، ثم قلنا إنه زاد الطين بِلّة الرازي والبيضاوي حين خلطوا المذهب الأشعري بالفلسفة.

فالحاصل أن هذه المقالة، الذين أنكروا على ابن أبي زيد -رحمه الله تعالى- أنكروا عليه تأثراً بمتأخري الأشعرية.

ثم أورد -رحمه الله تعالى- أن الأوزاعي يحكي إجماع السلف: كنا والتابعون متوافرون -يعني هذا أمر شائع في الأمة- نقول: الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

سند ثابت عنه، وهو يحكي قول السلف -رضي الله عنهم-، ونظائر هذا كثيرة.

وكذلك... الفقه الأكبر لأبي حنيفة اختُلف في نسبته إليه، منهم من يقول لا يصح، لكن كثير من الحنفية يقرّه؛ لذلك أورده الشيخ، وفيه نص أبي حنيفة على أن من لا يقر أن الله تعالى فوق عرشه أنه كافر، وأنه إذا لم يقل إن الله تعالى في السماء فإنه كافر.

ثم تجد الأعداد الهائلة المنتمية لأبي حنيفة والمنتمية لمالك والمنتمية لهؤلاء الأئمة على خلاف ما يقررون.

نعم

وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه، رواه ابن أبي حاتم والبخاري وعبد الله بن أحمد وغيرهم: إنما يدور كلام الجهمية على أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

ما معنى قوله إن الجهمية يريدون أن يقول ليس في السماء شيء؟ أي أنهم بنفي الصفات ينفون أن يكون في السماء رب.

لذلك يأتي قول ابن المبارك بأنهم يزعمون أن الله الذي في السماء ليس بشيء، وقول جرير: يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله.

أنا قلت لك: الجهم بن صفوان يقول: أنا أنفي الوجود لأن المخلوق موجود ولو أثبتّ لله الوجود شبّهت الله بالمخلوق، ثم يقول: أنا أنفي الوجود! إذا نفيت الوجود فمعنى ذلك أنك لا تقرّ بالله -عز وجل-.

لذلك يقول السلف: إنهم إنما يدورون على أن يقولوا إنه ليس في السماء شيء.

طيب هذا النفي أصله من أين؟ من الجهمية الأوائل ثم تسلسل، نبّه شيخ الإسلام إلى فائدة نفيسة للغاية في الحموية، الآن التأويلات الموجودة في كتب متأخري المعتزلة ككتب الزمخشري وقبله أبو الحسين البصري، وكذلك عبد الجبار وكتب الأشعرية ككتب الجويني وابن فورك و الرازي، سؤال مهم للغاية، ما مبدؤها؟ أنت الآن عرفت أن السلف ليست عندهم هذه، ما مبدأ ومن أول من ابتدع هذه التأويلات؟ بشر المريسي.

يقول شيخ الإسلام: والدليل على أنها من بشر المريسي رد عثمان بن سعيد.

عثمان بن سعيد -رحمه الله- رد على بشر المريسي وهو من غلاة الجهمية، فرد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد فيما افتراه على الله من التوحيد، وصار يقول: قال بشر، ويرد عليه.

يقول شيخ الإسلام: المتأمل لقول بشر المريسي يجد أنه أقعد بهذا الباطل من المتأخرين، وهم تلقوه عنه.

هذا الموجود في كتب الرازي وفي كتب الجويني وفي كتب ابن فورك، طيب انسبوه -إن كنتم صادقين- إلى الشافعي إمام المذهب وإن كنتم مالكية إلى مالك.

ما يمكن.

طيب بشر المريسي ما موقف الشافعي ومن عاصروه منه؟ أشد الكلام في بشر المريسي، ولهذا قال الشافعي: جاءتني أم بشر المريسي وطلبت مني أن أنصحه، فأتى الشافعي إليه وذكره بالله، فدعا بشر المريسي الشافعي

-الإمام الكبير هذا- دعاه إلى مذهبه، قال تعال أنت معنا يا شـــافعي، فالشـــاهد أنه -عياذا بالله- متوغل في الباطل، وقد اشتد السلف جدا على المريسية.

ثم هذه الأقوال التي هي من بشـــر المريســـي هي الموجودة في كلام ابن فورك وفي كلام البيضـــاوي وفي كلام الرازي وفي كلام الجويني وأمثالهم.

إذن هذا مبدؤها، مبدؤها في رجل كان في زمن أئمة السلف، وقد ضللوه أعظم التضليل وردوا عليه.

إذن هذا ســـلفكم، فلا تقل أنا مالكي، قل: أنا مالكي في الفقه وخالفت إمامي في الصـــفات، وهكذا أنت يا شـــافعي، تقول أنا شـــافعي في الفقه وخالفت الشـــافعي في الأصـــل الذي بني عليه الفقه، فقه الأحكام، وهو الاعتقاد، حتى تكون الصورة واضحة.

والدليل يا إخوة كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام المجلد الأول من الصفحة الثالثة عشرة إلى السادسة عشرة، ثلاث صفحات فقط تختصر لك الضلال الذي وُجد في المتأخرين.

قال إن المتأخرين المنتمين للأئمة، يقول كيف الآن هؤلاء الذين ينتمون إلى أحمد ينتمون إلى مالك ينتمون إلى الشافعي، كيف الآن ضللوا الناس؟

قال: أتوا إلى قول مالك وأحمد والشـافعي وأمثالهم من أئمة السـنة في مدح السـنة وذم البدعة، فجعلوا مدح هؤلاء الأئمة للســـنة للبدعة التي عليها المتأخرون، وأخذوا ذم الأئمة الثلاثة للبدعة وجعلوا مرادا بها الســـنة والاعتقاد الذي عليه الأئمة، فقلبوا كلام الأئمة ولبسوا عليهم فصاروا يقولون إن مالكا يأمر بلزوم السنة التي هي أصول الدين التي عندنا، وإن مالكا يحذر من البدعة التي هي إثبات الصفات.

فقلبوا الأمور، كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

من حرّف النص الصريحَ فكيف لا ** يأتي بتحريفٍ على إنسانِ

نعم

وقال علي بن الحسن بن شقيق: قلت لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه، وهو أيضا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغير واحد من الأئمة.

وقال رجل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء.

وقال جرير بن عبد الحميد: كلام الجهمية أوله شهد وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله.

أوله شهد لماذا؟ لأنه يقول لك: أنّا نعظم الله ونُجل الله وينبغي أن يُعَظم الله.. شهد، عسل، جميل، لكن آخره سم، ما تعظيمكم لله؟ نفي الصفات، نسأل الله العافية والسلامة.

نعم

وروى هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أراد أن ينفوا أن يكون الله -عز وجل- كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم.

وقال يزيد بن هارون: من زعم أن الله على العرش استوى على خلاف ما يقِرُ في قلوب العامة فهو جهمي.

ما مراده؟ يقول إن من زعم أن قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] على خلاف ما يقر ويستقر في قلوب العامة من المعنى الصحيح المعروف بلغات العرب فهو جهمي، لماذا؟ لأنه يغير المعنى ويحرفه.

يقول فإذا قال إنه على خلاف المستقر في قلوب عامة المسلمين الذين يعرفون اللغة، هذا المعنى، يقول فهو جهمي، مباشرة.

نعم

وقال سعيد بن عامر الضبعي، وذُكر عنده الجهمية فقال: هم أشرّ قولا من اليهود والنصارى.

ما وجه ذلك؟ كيف يصيرون أشر قولا من اليهود والنصارى؟ لأن قول النصارى واليهود واضح.

هذا يقول لك: الأب والابن والروح القدس، هذا واضح وأنه دين أناس غير مسلمين، فلا أحد يتضرر به من المسلمين، هذه مقالة النصارى باطلة معلومة، لكن هؤلاء يقولون: مقالتنا نحن هي الدين الذي بعث الله به محمدا -صلى الله عليه وسلم- فيضرون الناس من هذه الزاوية، هذا مراده.

نعم

وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس عليه شيء.

الأديان: المقصود الحق الموجود في الأديان التي أنزلها الله، هذا الشيء الذي يُهتم به، أما مجرد أهل الأديان، الأديان طوائف شتى منهم الوثني، لكن المقصود أهل الأديان المستمسكين بما في كتب أنبيائهم قبل أن يُبعث النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذا بُعِث النبي -صلى الله عليه وسلم- لا بد أن يُتبع من قِبل جميع الإنس والجن.

يقول: الجميع مُتفق، فلهذا تجد أن الحبر الذي أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري وقال: يا محمد إنا نجد في التوراة أن الله يضع السماء على أصبع والأرضين على أصبع فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- تصديقا لقول الحبر.

يعني المستمسك بالتوراة حقًا والمستمسك بالإنجيل حقًا يقرّ الصفات وهكذا المسلمون، يقول أما الجهمية فخالفوا الموجود في كتب الله -عز وجل- ونفوا الصفات.

نعم

وقال عباد بن العوام الواسطي: كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

وهذا كثير في كلامهم.

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس مقالةَ أهل السنة وأهل الحديث، كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين ،فذكر فيه أقوال الخوارج والروافض والمُعتزلة والمرجئة وغيرهم، ثم قال: ذِكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: وجملة قولهم الإقرار بالله -عز وجل- وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله، وبما رواه الثقاتُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يردون من ذلك شيئا، إلى أن قال: وأن الله على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وأقروا أن لله علمًا كما قال ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفو ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وقالوا إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]

إلى أن قال: ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويصدّقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مثل «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فأغفر» له كما جاء في الحديث، ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]

وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وذكر أشياء كثيرة إلى أن قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب.

لماذا ذكر كلام الأشعري؟ لأن كثيرا من هؤلاء ينتسبون لأبي الحسن الأشعري، فأورد ما قاله في مقالات الإسلاميين وقال إن الأشعري بعد أن ذكر مقالات الطوائف، الرافضة والمرجئة والجهمية قال: ذكر مقالة أهل السنة.

ولما ذكر مقالة أهل السنة وهي التي سمعت الآن، قال: وبكل ما قالوا نقول وإليه نذهب.

يقول فأنتم لا تنتسبون لأبي الحسن الاشعري، هل أنتم تقولون بالذي قال في كتاب المقالات؟ أو كتاب الإبانة، كتاب الإبانة هو آخر ما ألّف، هل تقولون بالذي قاله في كتاب الإبانة؟

هذا هو لما قلنا إن المذهب الأشعري حُرف إلى مقالة المعتزلة، وخُولف نفس إمام المذهب أبو الحسن.

أمر آخر سيأتيك لاحقًا إن شاء الله قريبًا، يقول: أنتم ماذا تقولون في الاستواء؟ تقولون إنه الاستيلاء.

أبو الحسن الأشعري ينص في كتاب الإبانة على أن من قال إن الاستواء بمعنى الاستيلاء هم الجهمية والمعتزلة، ورد عليهم من وجوه، ويأتي إن شاء الله كلامه.

يعني يريد أن يقول أنتم لستم على مذهب مالك، وحتى أبو الحسن الأشعري على ما عنده من الإشكالات هذا كلامه، ومع ذلك أنتم لستم على قول مالك ولا على قول أبي الحسن.

نعم

قال الأشعري أيضا في مسألة الاستواء: قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم...

هل هذا قول لأصحاب الحديث؟ قلنا إن هذه الكلمة مجملة، وهذا من الأشياء التي انتقدت على أبي الحسن، وقالوا إن أبا الحسن بقي أربعين سنة في الاعتزال وكان من رؤوس المعتزلة ثم خالفهم وقال بمقالة ابن كلاب وتأثر بزكريا الساجي وعنه أخذ المقالة التي انتسب بناء عليها للإمام أحمد ،لكن معظم حياته كانت في ما يسمونه بعلم الكلام، فلما أراد أن يحكي قول أهل السنة حكاه بما ظنه من أصولهم، فكان عنده شيء من عدم الضبط لقول أهل السنة، ولهذا نسب لأهل السنة أشياء قال أهل السنة إنها محل إجمال ولا تقال، حتى في الإبانة آخر كتاب له، ووضحوها لكن معظم ما في الكتاب هو قول أهل السنة، معظمه لكن فيه مواضع حكاها عن أهل السنة بحسب علمه، قال شيخ الإسلام: ولم يكن خبيرا بمقالة أهل السنة خبرته بمقالات المتكلمين، فوُجدت عنده...

أما أهل السنة كما قلنا يقولون هذه الكلمة مجملة، الجسم الحيز ونحوها، يقولون ماذا تريدون؟

هل تريدون نفي الصفات؟ هل تريدون الإثبات؟ فإذا أردتم الإثبات فإنه يُعبَّر بالتعبير الشرعي الآتي في الكتاب والسنة، ولا تخترع عبارات لا في الإثبات ولا في النفي لم ترد في النصوص.

نعم

ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له يدين بلا كيف، كما قال تعالى ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث.

قال: وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى.

وقال الأشعري أيضا في كتابه الإبانة في أصول الديانة في باب الاستواء: إن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل نقول له: إن الله مستوٍ على عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ

ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال حكاية عن فرعون ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]

كذّب فرعون موسى في قوله إن الله فوق السماوات. وقال الله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] فالسماوات فوقها العرش وكل ما علا فهو سماء، وليس إذا قال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات ،ألا ترى أن الله ذكر السماوات فقال ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نوح: ١٦] وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ يملؤهنّ جَمِيعًا وَأَنَّهُ فِيهِنَّ جَمِيعًا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش.

وقد قال قائلون من المُعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى استوى استولى...

لاحظ إلى مَن نسب الأشعري هذه المقالة، للمُعتزلة والجهمية والحرورية -يعني الخوارج المتأخرين- يقول: القائل بأن استوى يراد به استولى وملك وقهر هم هؤلاء المبتدعة، هذا منصوص كلامه.

فكأن شيخ الإسلام يقول: هذه مقالة أبي الحسن الذي تنتمون إليه وهو ينسب هذه المقالة للجهمية والمعتزلة، وهي فعلا مقالة الجهمية والمعتزلة.

فكيف الآن تنتسبون له، بل كيف تنتسبون لمالك -رحمه الله تعالى- وأنتم مخالفون في الاعتقاد.

نعم

أن معنى استوى: استولى وملك وقهَر، وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها، وعلى الحشوش والأخلية.

فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال هو مستوٍ على الأشياء كلها، ولما لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال: إن الله مستوٍ على الأشياء كلها وعلى الحشوش والأخلية...

الحشـوش مواضـع قضـاء الحاجة، الأمور التي يُرغب عن ذكرها، فلولا أن الله مسـتوٍ على العرش في العلو سبحانه للزم من مقالتهم الخبيثة هذه -قولهم إن الله في كل مكان- أن يكون في هذه الأماكن.

نعم

بطل أن يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها.

وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد من أئمة أصحابه كابن فورك والحافظ ابن عساكر في كتابه الذي جمعه في تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري، وذكر اعتقاده الذي ذكره في أول الإبانة، قوله فيه:

فإن قال قائلٌ: قد أنكرتم قول المُعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضـة والمرجئة فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسـك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصـمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل -نضـر الله وجهه- قائلون، ولما خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ،وأوضح المنهاج به وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشـك الشـاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم وكبير مفهم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: إنا نقر بالله وملائكته وكتُبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وذكَر ما تقدم وغيره من جمل كثيرة أُوردت في غير هذا الموضع.

يعني تأكيد على ما قلنا، يقول هذا الآن أبو الحسن الأشعري على ما عنده من الملحوظات هل أنتم على عقيدته؟ ألستم تقولون: نحن المالكية الأشعرية؟

فلا أنتم وافقتم مالكا -رحمه الله- في الاعتقاد ولا وافقتم أبا الحسن، هذه مقالته الآن في آخر كتبه الإبانة، الإبانة آخر كتاب لأبي الحسن، ودائما الإنسان ينسب إليه آخر ما ألفه، وكذلك انتمى لأهل السنة في مقالات الإسلاميين.

هذه المقالات التي يقولها أبو الحسن بصريح العبارة أنتم تقولون إن من قالها فإنه مجسم مشبه.

يقول هذا إمامكم، يقول هذه العبارة.

نعم

وقال أبو بكر الآجُرّي في كتاب الشريعة: الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سماواته وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلى وبجميع ما في سبع أرضين، يرفع إليه أفعال العباد، فإن قال قائل: أيشٍ معنى قوله...

أيش منحوتة من أي شيء، وهي عربية، ورد هذا في الحديث، بعض الناس لما وجدها في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال: هذه عامية، ليست عامية، وُجدت في حديث النبي -عليه الصلاة والسلام-

نعم

فإن قال قائل: أيشٍ معنى قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] الآية. قيل له: علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، هذا قول المسلمين.

لا شك، الآية واضحة، أساس الكلام يعني قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] أولها ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ [المجادلة: ٧] وآخرها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فالموضوع في العلم، ما قبله وما بعده في العلم، ولهذا قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

فالآية واضحة وليس هذا تأويلاً، لا، لأن موضوع الآية في العلم فقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] ليس معناه أنه مع الثلاثة في مجلسهم -حاشاه تعالى- لكن معناه أنه تعالى لما ذكر العلم في أول آية وفي آخرها كان المراد أنه معهم بعلمه.

نعم

والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه، قد تأوّله بعض المبطلين بأنْ رفع المجيد، ومراده أن الله هو المجيد بذاته.

المجيدُ.. مراده أن يقول إنه لا يدل على أن الله تعالى كما يثبت -سبحانه وتعالى- على عرشه فهذا مراده لما نقل هذا، على كل حال حتى لو كانت قراءة ولله الحمد الأمر بيّن، الأمر بيّن في هذه النصوص وجلي وأن الله فوق السماء لا شك في هذا فطرة وعقلا ودلالة وإجماع السلف.

نعم

وهذا مع أنه جهل واضح فإنه بمنزلة أن يقال الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته، وقد قال ابن أبي زيد في خطبة الرسالة أيضا: على العرش استوى وعلى الملك احتوى، ففرّق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين، ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد في المختصر بأن الله في سمائه دون أرضه، هذا لفظه.

والذي قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة أهل السـنة من جميع الطوائف، وقد ذكر أبو عمرو الطلمنكي الإمام في كتابه الذي سماه الوصول إلى معرفة الأصول، أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه.

وكذلك ذكره محمد بن عثمان بن أبي شيبة حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه، ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة.

وكذلك ذكره يحيى بن عمارٍ السجستاني الإمام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها إلى ملك بلاده.

وكذلك ذكر أبو نصرٍ السجزي الحافظ في كتاب الإبانة له قال: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سـلمة وحماد بن زيد وابن المبارك وفضـيل بن عياض وأحمد وإسـحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان.

وكذلك ذكر شيخ الإسلام الأنصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر الجيلي ومن لا يحصي عدده إلا الله من أئمة الإسلام وشيوخه.

وقال الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء وغير ذلك من المصنفات المشهورة، في الاعتقاد الذي جمعه: طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول، لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام، خلق الأشياء من غير شيء، وأن القرآن كلام الله وكذلك سائر كتبه المنزلة، كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً ومتلواً ومحفوظـًا ومسـموعـًا ومكتوبـًا وملفوظـًا كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة.

لا حكاية: رد على الأشـــعرية، يدل على أن أبا نعيم الأصـــبهاني -رحمه الله- مخالف للأشـــاعرة، فهم يقولون إن كلام الله معنى قائم بنفس الله والقرآن حكاية عنه، فبذلك يكون القرآن ليس كلام الله.

قال أهل العلم: من هذه الزاوية كلامهم أقبح من قول المعتزلة، لأن المعتزلة على الأقل تقول هو كلام الله، ويزعمون أنه مخلوق، لكن هذا يقول ليس كلام الله وإنما كلام الله المعنى القائم بنفسه وهذا عبارة أو حكاية عنه، أصل المقالة أصلها من ابن كلاب، هو الذي أحدث هذه الفتنة.

نعم

وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر، وذكر أشـــياء، إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت عن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- في العرش واسـتواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل.

وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحلُّ فيهم.

بائن من خلقه يعني غير ممازج لخلقه تبارك، بل هو في السماء فوقهم، هذا المعنى، لأجل ذلك قالوا إنه بائن من خلقه وقالوا إنه بذاته على العرش، كله لتأكيد المعنى.

وانظر الآن الأعداد التي مرت بك من أئمة السـنة دائما: أحمد وإسـحاق ومالك، تقول: اللهم احشـرني في زمرتهم أئمة الاسلام هذه عقيدتهم.

شيء صنفوه، شيء روي عنهم بالأسانيد الثابتة، فهذه عقيدتهم.

خالفهم المتأخرون، والمتأخرون ما خالفوا إلا في هذا خالفوا في أشـياء كثيرة، فعليك بلزوم ما كان عليه السلف الصالح، إن أردت النجاة.

نعم

لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه، وذكر سائر اعتقاد السلف وإجماعهم على ذلك.

وقال يحيى بن عمار السجستاني في رسالته لا نقول كما قالت الجهمية إنه بداخل الأمكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو، بل نقول: هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء، وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وهو معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

وقال الشيخ العارف عمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا العصر: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف...

أهل التصوف أهل الزهد والعبادة والإقبال على طاعة الله، لأن كلمة الصوفية أطلقت على الزهاد الأوائل كالفضيل بن عياض وغيره، ثم أطلقت على مثل الجنيد بن محمد وسهل التستري وهؤلاء -رحمهم الله- على السنة، فغلب عليهم اسم التصوف على اسم الزهد، فلذلك تجد مدحا لهذا النوع منهم، لهذا شيخ الإسلام في الصفدية قسمهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول صوفية أهل الحديث، يقول على نفس مذهب أهل الحديث لكنهم غلب عليهم العبادة ونحو ذلك وغلب عليهم اسم الصوفية.

الذي جعله يغلب عليهم على الأرجح والله أعلم هو لبسهم الصوف، ومع ذلك أنكر عليهم بعض أهل العلم وقال: النبي -صلى الله عليه وسلم- لبس الصوف وغير الصوف فلا تلتزموا لبس الصوف، فكانت المخالفات شيئا يسيرا للغاية، أما العقيدة عقيدة سوية.

ثم جاء صوفية المتكلمين مثل الغزالي متكلم وصوفي، القشيري صاحب الرسالة متكلم وصوفي.

ثم جاءت الطامة الكبرى بصوفية متفلسفة كابن عربي.

فلذاك تجد الثناء على الصوفية ونحوهم، يعني من المستمسكين بما كان عليه السلف لكن غلب عليهم الزهد، ولذا يقولون: حدثنا فلان الصوفي، يقصدون أنه كان على شيء من العبادة.

أما الصوفية الآن أمر مريع وخطير صارت طرقا وصارت عندهم مجموعة من الاعتقادات الفظيعة مثل وحدة الوجود ونحوها، على ما ترى من الضلال المبين.

نعم

فذكر أشياء من الوصية إلى أن قال فيها: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول، وإنه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه، بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة، وإنه -عز وجل- سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل، ومن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال.

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب الرسالة في السُنة له: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه وعرشه فوق سماواته.

قال: وإمامنا أبو عبدالله الشافعي احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة بالكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن إعتاقه إياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها «أين ربك» فأشارت إلى السماء فقال «أعتقها فإنها مؤمنة»

فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بالصفة العلوّ والفوقية.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: باب القول في الاستواء: قال الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وأراد مَن فوق السماء كما قال ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] بمعنى على جذوع النخل، وقال ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

قال: وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان.

وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤] إنما أراد به بعلمه لا بذاته.

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ، لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة، قال: وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يُحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم.

[الشيخ: الأصح: لم يوقفهم عليه أحد، يعني أن الله فطر العباد عليه، ما أوقفهم أحد قال: قولوا إن الله في السماء. فكونها يقول لم يوقفهم أقرب، لأن «لم يوافقهم» قلب للكلام]

وقال أبو عمر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل، قالوا: في تأويل قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

ما خالفهم أحد يحتج بقوله، فلا تقل لي: الزمخشري وعبد الجبار، هذا لا عبرة به، لكن ما خالف أحد يحتج بقوله له إمامة في الدين، هذا المعنى.

نعم

فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف، إذ لم يُنقل عنهم غير ذلك، إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين، والحمد لله وحده.

الحمد لله، وبذلك انتهى هذا الكتاب، فيه هذه الفوائد الجمة، وهكذا طريقة شيخ الإسلام -رحمه الله-.

كتبه مليئة -رحمه الله تعالى- بالفائدة، نوصي الإخوة بالإقبال على هذه الكتب والحرص على تلقّيها عن أهل العلم وشرحها وأن تُعرف مضامينها، ففيها علوم جمة واسعة، نسأل الله أن يجزل له المثوبة ولأئمة المسلمين.